صوت النساء

"للمرأة الفلسطينية الحق في التمتع بحقوق مساوية للرجل في الحياة والحرية والسلامة الشخصية"

وثيقة حقوق المرأة باب الحقوق الجنائية رقم ١

١٧ حزيران العدد ٣٢٠ 17 June NO 320 2010 | صحيفة شهرية تعنى بقضايا المجتمع | معاً من أجل التحرير... معاً من أجل بناء الوطن

صوتنا

الإنتخابات استحقاق دستوري

الإعلان عن موعد انتخابات المجالس المحلية والبلدية، لم يثر الإهتمام الذي تستحقه الإنتخابات من كونها تعبير عن الديموقراطية، وربما يعود ذلك إلى حدوث هذه الإنتخابات في ظل الإنقسام الفلسطيني، حتى وإن كانت الإنتخابات للمجالس المحلية. فالوحدة الوطنية للشارع الفلسطيني تحتل أولوية على غيرها من القضايا. كما أن حماس النساء لم يكن بالمستوى نفسه الذي شهده إعلان الإنتخابات السابقة. وإذا كانت الكوتا لعبت دوراً هاما في زيادة مشاركة النساء وحماسهن في المرحلتين الأولى والثانية من الإنتخابات السابقة، فهي لم تلعب هذا الدور في المرحلة الحالية. وربما يعزى السبب إلى أن استخدام الكوتا لم يستهدف زيادة مشاركة النساء، أو مصالحن، بقدر ما استهدف زيادة مشاركة الفصيل أو الحزب السياسي. وبالتالي استبعدت الكثيرات من النساء الكفؤات عن المشاركة في قرار الترشيح.

وإذا كانت الإنتخابات هي تعبير عن الديموقراطية، فإن تأجيلها يجب أن يكون مبرراً ديموقراطياً. فالإنتخابات استحقاق دستوري، وحق للناس انتخاب مجالسها المحلية والبلدية. وعليه، فإن كانت الأسباب تتعلق بالمصالحة والوحدة الوطنية، وبالتالي التحضير لعقدها على مستوى غزة والضفة الغربية، بما فيها القدس، فالتأجيل يمكن تبريره.

مهم إعادة النظر في دور المجالس المحلية، وعدم تسييسها. نحن بحاجة إلى من يخدمون مصلحة البلد قبل الفصيل، بحاجة إلى خيار التعددية وليس الإقصاء، بحاجة إلى نساء ورجال يرون المشاكل والحاجات الحياتية، بخاصة التي تعاني منها النساء. بحاجة إلى التعاون من أجل المصلحة العامة وليس لمصلحة فئة معينة، أو عائلة معينة، أو فصيل معين. بحاجة إلى انتخابات مجالس محلية توحد ولا تزيد في الفرقة والإنقسام. بحاجة إلى الشعور بالمواطنة والإنتماء إلى كل الوطن.

طاقم شؤون المرأة

النساء وانتخابات الهيئات المحلية

أيمن عبد المجيد

نظرة عامة حول الحكم المحلي
ما قبل الانتخابات العام ٢٠٠٥

لمن يتابع قضايا الانتخابات وواقع الهيئات المحلية في المحافظات الفلسطينية، وللمهتمين في دراسة واقع الهيئات المحلية ما قبل الانتخابات عام ٢٠٠٥ وما بعدها يلاحظ النقاط التالية لهذا الواقع:

- تنامي في عدد الهيئات المحلية.
- هيئات محلية تم تعيينها على أساس عشائري وعائلي وحزبي.
- ثقة محدودة في الهيئات المحلية من قبل الجمهور .
- وُصمتْ الهيئات المحلية بارتباطها بالسلطة، وبُعدها عن هموم الجمهور.
- مشاركة تكاد تكون معدومة للنساء في الهيئات المحلية (بلغ عدد النساء في الهيئات المحلية: ٥٢ مقابل ٣٥٣٥، أي ما نسبته ١,٤٪ من المجموع العام) في العام ٢٠٠٠.
- قوبلت مشاركة النساء في الهيئات المحلية (أثناء عملية التعيين) بمعارضة عائلية ودينية وحزبية (حيث توافق الحكم المحلي وممثلي العائلات والأحزاب على اقصاء النساء).
- كان هناك اتفاق صريح بتعيين فرد من عائلة لا يتجاوز عدد أفرادها ٥٪ من سكان القرى والمدن، مقابل حدوث جدل وصراع لتعيين النساء لأسباب اجتماعية وسياسية.
- استند الحزب السياسي بتمثيله داخل الهيئات المحلية على العائلة. الأفضلية داخل العائلة والحزب السياسي للرجال.

ما قبل انتخابات العام ٢٠٠٥ – نظرة الجمهور للانتخابات المحلية

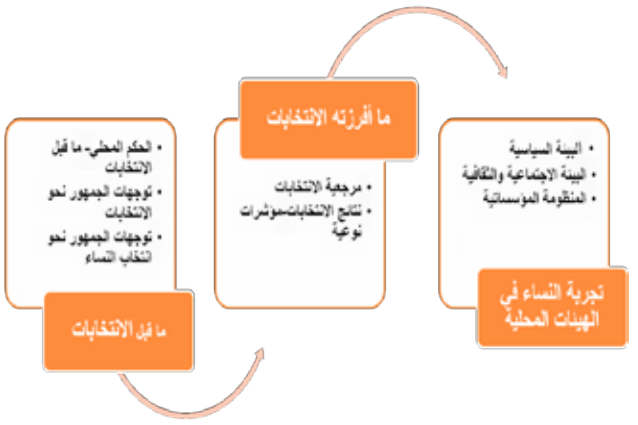

معدلات التأييد لإجراء انتخابات فلسطينية

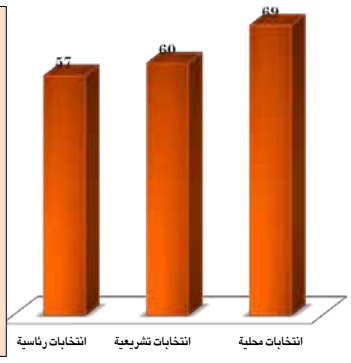

تأييد أكبر للجمهور الفلسطيني لإجراء انتخابات محلية.

الهيئات المحلية المكان الأكثر التصاقاً بهموم وحاجات الجمهور الفلسطيني.

الهيئات المحلية المكان المناسب لتعزيز المشاركة المجتمعية.

الهيئات المحلية مكاناً شهد صراعات جمة سواء على النطاق الحزبي أو على النطاق العشائري

الانتخابات المحلية... القانون... والنساء

تم انجاز الانتخابات المحلية على أربع مراحل:

المرحلة الأولى والثانية (دوائر)– حصة نسائية في بعض الدوائر (المرجعية: قانون تشكيل الهيئات المحلية رقم (٦)، المعدل المرأة حصة ٢٠٪ من إجمالي عدد أعضاء الهيئة المحلية (أي ما يعادل عضوين من مجموع أعضاء الهيئة المحلية (المادة ٤٤: أنه حيثما رشحت امرأة يجب أن لا يقل تمثيل المرأة في أي مجالس الهيئات المحلية على مقعدين، لمن يحصلن على أعلى الأصوات من بين المرشحات)

والمرحلة الثالثة والرابعة نسبي– حصة داخل كل كتلة حسب عدد أعضاء (المرجعية: قانون رقم ١٢(٢٠٠٥): المادة (١٧)، تم تعديلها لتصبح (في الهيئة الادارية التي لا يزيد عدد مقاعدها عن ثلاثة عشر مقعدا يجب أن لا يقل تمثيل المرأة عن مقعدين: ١) امرأة واحدة من بين الخمسة أسماء الأولى. ٢) امرأة واحدة من بين الخمسة أسماء التي تلي ذلك. في الهيئة المحلية التي يزيد عدد مقاعدها عن ثلاثة عشر مقعدا يخصص مقعد للمرأة من بين الأسماء التي تلي المرأة في البند الثاني. ويستثنى من أحكام هذا الهيئات المحلية التي يقل عدد الناخبين بها عن ١٠٠٠ ويترك للقوائم حرية الاختيار).

المرحلة الخامسة من الانتخابات المحلية (لم تعقد).

النساء ونتائج الانتخابات: مؤشرات

أفرزت الانتخابات المحلية تمثيلا قويا للطيفين السياسي والعشائري.

إن وصول النساء للانتخابات المحلية ارتبط بالطيفين السياسي والعشائري، أو بالحصة النسائية المرتبط بالنظام الانتخابي (سواء نظام الدوائر المطبق بالمرحلتين الأولى والثانية، أو بالكتل الانتخابية في المرحليتن الثالثة والرابعة).

مثال: في المرحلة الأولى فاز ٣٠٦ مرشح/ة منهم ٥٢ امرأة، مع العلم أن باب الترشيح فتح استثنائيا للنساء قبل بدء الانتخابات بأسبوعين. مع العلم أنه ترشح ١٣٩ امرأة، حيث ترشح أغلبيتهنّ يوم فتح باب الترشيح استثنائيا للنساء (١٠١ مرشحة).

لا يعني وصول النساء – نسبيا– أن هناك مشاركة سياسية ومجتمعية للنساء في الهيئات المحلية.

ضمن القانون فوز النساء (مع العلم أن بعض النساء في المرحلتين الأولى والثانية فزن خارج اطار الحصة النسائية الا أن نجاح جزء منهن ارتبط بالعشيرة أو بالحزب –العشائري–، كنوع من البرستيج المجتمعي.

إن العلاقات السلطوية (البطريركية (الابوية))، وضعت الكثير من العقبات تحول دون إحداث تغييرات اجتماعية وثقافية تضمن ادماج النساء في عمل الهيئات المحلية.

حيث بنى هذا النظام (الأبوية) باطار اقتصادي اجتماعي سياسي تمركزت في سياقه السلطة بيد الرجل، وعليه تم توزيع الأدوار والمسؤوليات داخل الهيئات المحلية على اساس النوع الاجتماعي.

وصلت ثلاث نساء لرأس الهرم «رئاسة المجلس أو الهيئة المحلية»:

- بلدية رام الله
- بلدية عبوين
- بلدية بني زيد الغربية

وصول النساء إلى راس الهرم كان نتيجة المشاركة السياسية أو الاجتماعية للنساء (السيرة الذاتية)

واقع النساء داخل الهيئات المحلية يمكن توصيفه بثلاثة اتجاهات:

- نسبة قليلة من النساء نشيطات داخل الهيئات المحلية (حيثما يكون هناك قوة للحركة النسوية السياسية).
- نساء تم إقصاؤهن من المجالس المحلية لأسباب اجتماعية (وبقي فوزهن على الورق فقط).
- نساء تجذرت علاقاتهن مع الهيئة المحلية بحضور الاجتماعات فقط (دون أي نشاط يذكر).

ما قبل الانتخابات

اعتمد الحزب السياسي على العشيرة في المرحلتين الثالثة والرابعة أثناء تشكيل الكتل الانتخابية.

لبست الأحزاب السياسية عباءة العشيرة والعائلة على أمل أن تكون سندا قويا لها في الانتخابات التشريعية (هذه العباءة كانت كنوع من المساومة على قضايا اجتماعية أول ضحاياها النساء).

لم تضع الأحزاب السياسية في الانتخابات المحلية ضمن أولوياتها أي رؤية اتجاه دمج النساء في عمل الهيئات المحلية.

كما تنحت الأحزاب السياسية «ربما عن قصد أو عن غير قصد» عن تبنِ قضايا النساء باتجاه التغيير بل أخذت أحيانا بعضا من هذه الأحزاب دورَ المزايدة فيما بينها نحو قضايا العادات والتقاليد والثقافة والدين.....كخطوة نحو الانتخابات التشريعية

البنية السياسية.... هل هي بنية تغيير أو تكريس للواقع؟

ما بعد الانتخابات (الانقسام السياسي):

- البيئة السياسية التي سادت الأراضي الفلسطينية من انقسام عمل على تسييس عمل الهيئات المحلية.
- هذه البيئة أضعفت النساء وامكانية عملهن.
- حُلت بعض الهيئات المحلية وتم إقصاء بعض الأعضاء.
- عزز الانقسام تبعية الهيئات المحلية للسلطة .
- العودة إلى سياسية التعيين وإقصاء النساء.
- باختصار المساومة دائما لعبة سياسية ضحاياها النساء لصالح الثقافة والتقاليد والدين

التحديات المؤسساتية - بنية الهيئات المحلية

- موقع المجلس المحلي سهّل امكانية الوصول .
- مواعيد اجتماعات المجلس المحلي.
- أجواء الاجتماعات غير مريحة.
- توزيع المناصب نمطي.

في القضايا الملحة داخل الهيئة المحلية يكون التشاور بمعزل عن النساء داخل الهيئة المحلية.

وجود النساء على سبيل المثال على رأس الهيئة المحلية: كان بمثابة امتحان لهن بمعنى آخر تعبير عن تشكيك بامكانيات النجاح.

إلقاء الأعباء كاملة على النساء في الهيئات المحلية التي تكون النساء فيها على رأس الهيئة.

أهم العوامل في اختيار المرشحين للهيئات المحلية

قرار الانتخاب في الانتخابات المحلية

العوامل	المجموع (%)	الضفة الغربية (%)	قطاع غزة (%)
الأمانة والصدق عند المرشح (النزاهة)	97.1	96.9	97.4
دور المرشح في خدمة بلده	96.4	96.0	97.0
التحصيل العلمي للمرشح	94.2	93.0	96.0
برنامج المرشح لحل المشكلات الاقتصادية	92.5	93.8	90.6
برنامج المرشح لحل المشكلات الاجتماعية	90.5	91.5	89.0
دور المرشح في النضال الوطني	86.9	86.7	87.3
درجة التدين لدى المرشح	85.8	81.6	92.0
مواقف المرشح من القضايا السياسية	85.5	85.0	86.3
الانتماء الحزبي للمرشح	45.9	45.1	47.1
الحالة المادية للمرشح	34.3	32.1	37.9
القرابة العائلية للمرشح	23.4	21.0	27.0

وعند سؤال المستطلعين عن العامل الأهم من العوامل السابقة الذي سيأخذونه بعين الاعتبار لاختيار مرشحيهم فتم التأكيد على عامل (الأمانة والصدق عند المرشح)، حيث أختاره 46% كأهم عامل، ويلي ذلك في الأهمية درجة التدين لدى المرشح (حوالي 30%)، ودور المرشح في خدمة بلده (6%)، والتحصيل العلمي للمرشح ودور المرشح في النضال الوطني (5%) لكل منهما، وبرنامج المرشح لحل المشكلات الاقتصادية 4%

قرار انتخاب المرشح المفضل

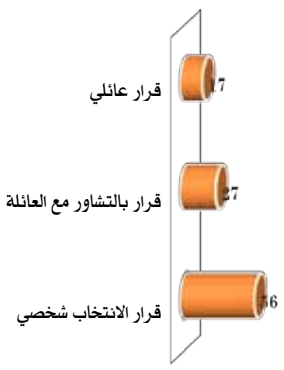

التشاور مع العائلة أو القرار العائلي يعود إلى:

- الزوج
- الأب
- الأبناء
- أحد الأقارب

أغلبية من سلبت قرارتهم من النساء

توجهات الجمهور لانتخاب النساء في الهيئات المحلية

	المجموع	الضفة الغربية	قطاع غزة
الانتخابات المحلية	51.5	56.2	44.6
ترشيح امرأة من العائلة للانتخابات المحلية	44.8	52.3	33.8
تخصيص مقاعد للنساء في الهيئات المحلية	61.8	65.5	56.4

تراجع الاستعداد لانتخاب النساء في الانتخابات المحلية من ٦٥٪ في العام ١٩٩٦ إلى ٥٢٪ مع نهاية العام ٢٠٠٤ الاستعدادية الأقل عند الشباب لانتخاب نساء

فرص النساء لا توازي بأي حال من الأحوال فرص الرجال في الانتخابات المحلية مع استعدادية أقل لانتخاب نساء

أخيراً وليس آخراً

مشاركة النساء في الهيئات المحلية تقابلها قيود أو اشتراطات اجتماعية وثقافية عديدة، وضمن هذا الواقع فازت أغلبية النساء.

المنظومة المؤسساتية للحكم المحلي والهيئات المحلية– وبالرغم من التسهيلات المفترضة التي أضافها القانون– أعاقت الوصول أو توفير أجواء مريحة وآمنة للنساء الفائزات.

الحركة النسوية – كحركة اجتماعية سياسية، هي الرافعة والحاملة للتغيير داخل الهيئات المحلية..... وهذه الخلاصة تؤكد نقدي وتحفظي على الدور (المحدود) الذي قامت به في الانتخابات المحلية.

الاستراتيجي والعملي..... التكامل في العمل على هذين المحورين من قبل الحركة النسوية.

ضرورة وجود دور فاعل وقناعة على المستوى السياسي لأهمية إدماج النساء في الحكم المحلي وعمل الهيئات المحلية.

الانتخابات البلدية

من ينصر المرأة العائلة أم الفصيل؟

طوباس: شهناز حميد

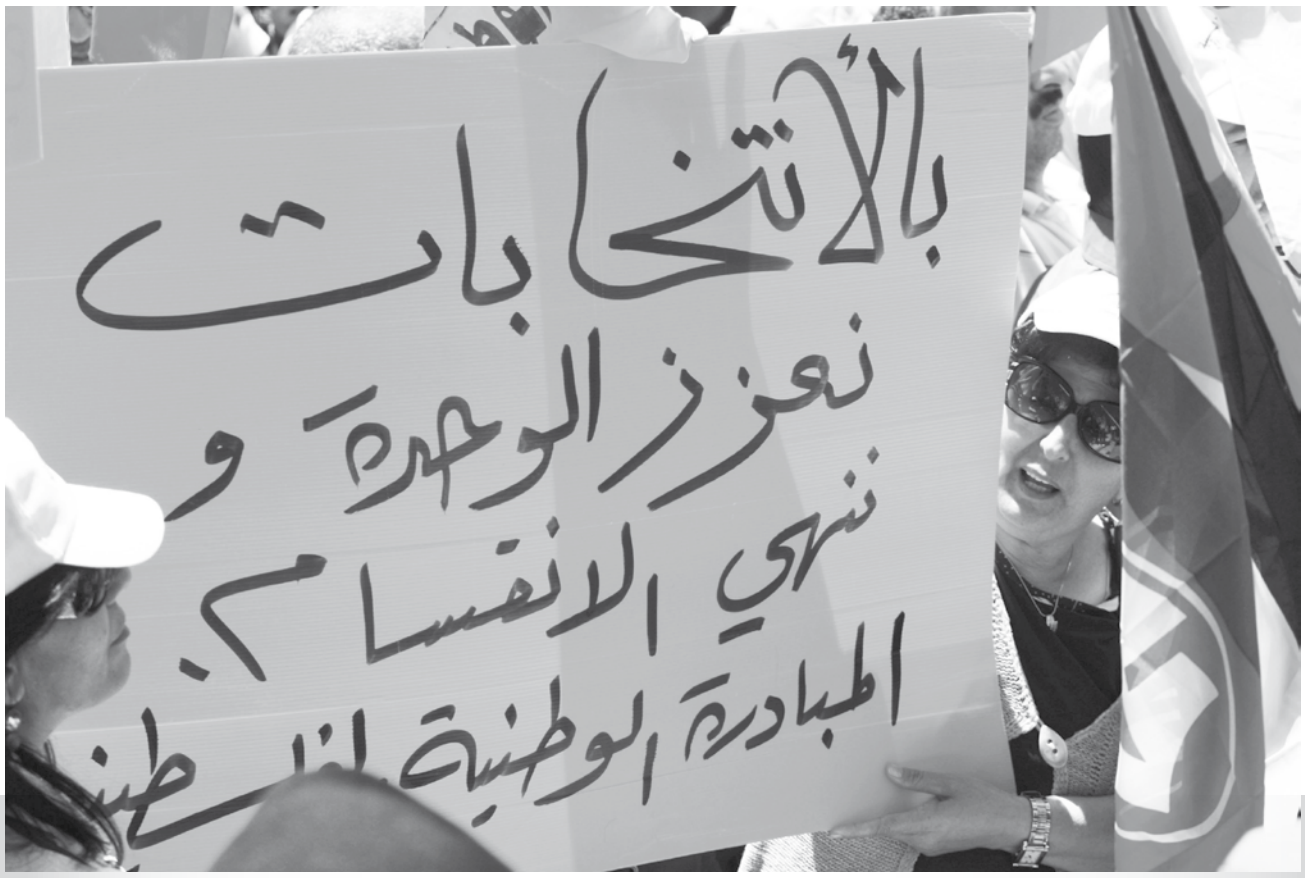

رغم أنها تحظى بقبول عائلي وآخر فصائلي، إلا أن أم شرار بني عودة، ترى نفسها تتأرجح بين الطرفين فيما يتعلق بقراريهما لخوض هذه المرأة للانتخابات البلدية المقبلة.

ورغم مرور فترات طويلة من التشاور والتباحث على الصعيدين العائلي والحركي، إلا أن ام شرار من بلدة طمون في محافظة طوباس والأغوار الشمالية، لم تتلق لغاية الآن الضوء الأخضر من أي منهم «للسماح» لها بالترشح للانتخابات البلدية المزمع إقامتها في السابع عشر من تموز المقبل، على الرغم من أن فترة الترشح لهذه الانتخابات قد بدأت فعلياً مطلع حزيران الجاري، وتمتد حتى العاشر منه.

تطغى عليها العائلية

وتقول أم شرار وهي ناشطة على صعيد حركي ونسوي واجتماعي، أن هذه الانتخابات كسابقاتها تطغى عليها العائلية والعشائرية بقوة، في جميع أنحاء المحافظة، التي كثيراً ما تعرف بعائلاتها وعشائرها، رغم المحاولات الكثيرة لصبغها بالطابع الحركي أو الفصائلي.

وتشير إلى أن المرشح، يجب أن يحظى في البداية بتأييد عائلي، قبل أن تؤيده الحركة أو الفصيل السياسي الذي ينتمي إليه، موضحة أنه حدث مراراً أن تقوم الحركة بطرح أسماء معينة، غير أن العائلة ترفض هذه الأسماء وهكذا.

وتقول: «إن العائلة هي المقرر في طرح أسماء المرشحين، سواء كانوا رجالاً أم نساءً، موضحه أنه لو لم تكن هناك كوتا نسوية، لما طرح اسم أي امرأة لدى أي عائلة من العائلات في المحافظة».

وتتساءل أم شرار، أي من النساء ذهبت إلى الاجتماعات العائلية الخاصة بالانتخابات؟ وتجيب نفسها قائلة: «قطعاً لا أحد منهن، على الرغم من أن أسماءهن تطرح في هذه الاجتماعات.

وتدلل على أن العائلة التي يكون لديها خيارٌ واحد بمرشح واحد لخوض الانتخابات، فإنها لن تقبل بأن يكون مرشحها هذا امرأة، غير أنها ترى أن فرصة النساء تكون قوية عندما يكون من نصيب العائلة أكثر من مرشح، لتقوم العائلة بالقبول «قسراً» بترشيح امرأة».

وتؤكد أم شرار نيتها وتوافق الطرفين على خوضها للانتخابات المقبلة، غير أنها ترى أن اسمها يجب أن يكون ضمن الأسماء الأولى في القائمة لتحظى بفرصة أكبر للفوز.

وتوضح بأنها خاضت الانتخابات البلدية السابقة، غير أن الحظ لم يحالفها، لأن اسمها وضع في ذيل القائمة حينها.

حركة واسعة

ومع بدء العد الحقيقي لفترة الترشح القانونية، تشتد حركة التشاور والتباحث بين كافة العائلات والفصائل، ليطرح في النهاية كل منهم مرشحه لخوض هذه الانتخابات.

ومن المقرر أن تجرى الانتخابات البلدية والقروية في سبعة مواقع في محافظة طوباس والأغوار الشمالية، موزعة على ثلاثة مجالس بلدية وأربعة قروية في المواقع التالية: بردلا، تياسير، طمون، عقابا، عين البيضا، واد الفارعه وطوباس.

وتشتمل بلدية طوباس على خمسة عشر مقعداً، وبلديتا عقابا وطمون على ثلاثة عشر مقعداً، وبلدة تياسير على أحد عشر مقعداً فيما تشتمل مجالس قروية كل من بردلا وعين البيضا وواد الفارعه على تسعة مقاعد.

وبلغ عدد المواطنين ممن يحق لهم الانتخاب في محافظة طوباس، ٢١٠٩٠ مواطناً، موزعين على ١٠٧٤٤ ذكور و١٠٣١٦ إناث، فيما بلغت نسبة التسجيل ٨٥,٥٪.

وإن كانت أم شرار قد حظيت بتاييد معلن من الطرفين، إلا أن «ا م» من طوباس، لا زال اسمها يتردد في أروقة الاجتماعات العائلية، كواحدة من عدة أسماء نسوية مطروحه من قبل رجال العائلة، لخوض هذه الانتخابات.

ولكونها كادراً تنظيمياً معروفاً، اذ كان لها نشاطات تنظيمية، واعتقلت في سجون الاحتلال الإسرائيلي، فقد رشحتها حركة «فتح» بقوة لخوض هذه الانتخابات، غير أنها وأمام عدم بت العائلة في القرار النهائي لمسالة خوضها الانتخابات من عدمها، فإنها لم تستجب لدعوة التنظيم لغاية الآن.

وتبدو ا. م على اطلاع من باشر «بالمزاجية العائلية» ولعبة الانتخابات، فهي على قناعة تامة، بأن من لا يحظى بقبول عائلي، فلا جدوى من ترشحه، لأن العائلة هي التي تتحكم بالانتخابات، مشيرة إلى أن بإمكان العائلة، أن توجه أصوات الناخبين للدفة التي تريد.

وتقول أن المشاورات لا زالت قائمة، غير أنها ترى أنه إذا طرح اسمها من قبل العائلة، فانها ستخوض الانتخابات، أما إذا اقتصرت على دعوة التنظيم لها لوحده، فإنها لن تشارك في الانتخابات.

وفي حقيقة الحال، ترى الكثير من الناشطات والكوادر النسوية، أن هناك الكثير من الناشطات لا تتوفر لديهن الفرصة لخوض الانتخابات، إنطلاقاً من أنهن لا يحظين بتأييد عائلي، فمثلاً قد تكون نشيطة وقيادية، غير أنها ابنة لعائلة قليلة العدد، وهي التي بدورها قطعاً لن تقبل بأن يكون مرشحها امرأة تحت أي حال من الأحوال، وهو الأمر الذي يفسر المزاجية العائلية السائدة في هذه المحافظة تحديداً.

والأمر ذاته بالنسبة ل «م . ز»، التي تقول أن التنظيم أبلغها أن اسمها ضمن القائمة التي اعدها، مبينة أنها تحظى أيضاً بقبول مجتمعي عائلي، غير أنه وفي ظل الخلافات الدائرة على فرز الأسماء المرشحة للترشح، فإنها لم تقرر بعد القبول من الرفض.

وتشير إلى أن فكرة خوضها لهذه الانتخابات، لم تكن ذاتية، وإنما كسابقاتها تنظيمية عائلية.

وتشير إلى التركيبة الاجتماعية في طوباس، التي تقوم على أساس العائلات والعشائر، مبينة أن صوت العائلة يطغى على أي صوت تنظيمي أخر مهما علا شأنه.

ولا تنكر هذه المرأة خشيتها من نتيجة هذه التجربة، والتي يجب أن تكون خطواتها مدروسة، مبينة أن الضمانة الوحيدة لفوز المرشح، سواء كان رجلاً أم امراة، هو أن يحظى بتأييد عائلي وخيار تنظيمي، ليضمن خوض التجربة بقوة ونجاح.

وأشارت إلى موضوع الكوتا النسوية، التي تضمن وصول المرأة إلى المجالس البلدية والقروية، مبينة أن الكوتا النسوية كانت بمثابة انتصاراً للمرأة عموماً، غير أننا كنساء، نعيش في صراع قوي ما بين العائلة والفصيل، فمن ينصرنا هذا أم ذاك؟

هل ستنجح النساء من تفكيك مصائد الانتخابات المحلية؟!

محمود الفطافطة

الانتخابات تمثل المظهر المادي للديمقراطية، فإذا تم إجراؤها بعيداً عن الشفافية الإدارية والعدالة الطبقية والمجتمعية، فإن هذه الانتخابات ستتحول إلى معول لهدم مداميك صروح البناء المأمولة، والإمكانات الكامنة.

ورغم ما تشهده فلسطين من خصوصية الحالة وفرادة التطورات الناشئة عن الاحتلال وإفرازاته المختلفة، إلا أن المشهد الفلسطيني بمكوناته المتعددة، سيما السياسية منها والاجتماعية أوجدت صوراً ديمقراطية، وإن كانت ناقصة لعوامل عدة، منها الداخلية كالبناء الثقافي والسياسي والاقتصادي والإداري، ومنها الخارجية ممثلة بالتدخلات والضغوطات المالية والأيديولوجية.

وفي خضم الحديث المتصاعد والساخن عن الانتخابات المحلية المزمع عقدها في السابع عشر من تموز القادم، تبحث المرأة الفلسطينية عن حيز في هذا «المعترك». حيز هو حق لها ومستحق. فالمرأة الفلسطينية، تكاد تكون حالة استثنائية بين نساء الأرض، اللواتي صنعن فضاءات من النضال الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لمجتمعهن. فكن المناضلات والاقتصاديات والسياسيات، رغم بؤس التقاليد وغول الهيمنة الذكورية، التي ترى في المرأة وظيفة إنجابية لا تنموية.

التطرق إلى هذه الانتخابات وعلاقتها بالمرأة الفلسطينية، يتوجب التركيز على جملة محددات، أهمها:

المرأة إنسان مثل الرجل، لها حقوق كما عليها واجبات، والنظرة الدونية لشخصها، بل ولبيولوجيتها يجب التخلص منها وللأبد.

المرأة الفلسطينية لم تكن يوماً أقل قدراً أو تضحية أو مشاركة من الرجل. فعدى عن وظيفتها الإنجابية والمنزلية والمجتمعية، قدمت تضحيات في المجالات النضالية والسياسية والاقتصادية، فسدت مسد الزوج أو الأخ الذي استشهد أو اعتقل أو نفي .. الخ.

رغم كل الإنجازات التي حققتها المرأة في مختلف المجالات، إلا أنها، لعوامل شتى، لم تقتحم مضمار صناعة القرار، فغدت في معظم وقتها تابعة أو مشاركة دون التمكن أن تصبح مقررة.

البنية المجتمعية والثقافة الحزبية وذكورية التشريعات، وقلة الإمكانات، ومحدودية الملكية، وهشاشة العلاقات مع قوى النفوذ، إلى جانب ضعف المبادرة النسوية في المشاركة، والتناقض في الجسم النسوي الذي يفتقر لإستراتيجية واضحة ومحددة الأهداف والتصورات، كل ذلك أضعف القدرة النسوية في الوصول إلى مراتب قيادية عليا، أو امتلاك خيوط القرار وصناعته.

تأثير القبيلة والاصطفافات السياسية الطاردة للصالح العام، خلقت حيزاً انتخابياً يكاد أن يكون مختنقاً، حيث أن المرأة الفلسطينية لم تعد تقوى على مواجهة هذين النقيضين، ليخفف عنهما منحها «الكوتا» ،تلك «الجائزة» المبطنة بتمييز يؤكد استثناءها من القاعدة المجتمعية.

النظام الانتخابي المعمول به فلسطينياً، لا يتوافق ولا يتواءم وحجم المرأة الكمي والنوعي. مثل هذا النظام يجب النظر فيه بأسرع وقت ممكن. فعندما تتحول التشريعات إلى هضم للحقوق، فإن الكارثة تتضاعف، والنتائج تتعمق.

يجب على الجسم النسوي في فلسطين التكاتف والالتقاء حول إستراتيجية محددة وفاعلة. فتشرذم هذا البيت يضعف أصحابه من المطالبة بالحقوق والمشاركة في الفعل واتخاذ القرار.

الحديث عن المرأة والانتخابات يطول، ولكن منتهى القول: يجب توحيد الصف النسوي، وتحجيم دور القبائل والفصائل والسياسة، عندما يتعلق الأمر بحق أصيل للمرأة. غياب المشاركة النسوية في نيل حقوقها ورسم واقعها ومستقبلها لا يؤدي إلا لإضعاف مقومات المجتمع، والذهاب به إلى «حالة إعاقة» لكل مكوناته ومساراته. إذا تحقق كل ذلك، ستتمكن النساء الفلسطينيات من المشاركة في انتخابات ستنجب لهن حقهن المصادر.

وزير الحكم المحلي قلق

عضوات سابقات ناجحات وناشطات نسويات لم يرشحن أنفسهن

الخليل- هيثم الشريف

رأى مواطنون في محافظة الخليل، أن المرأة بدأ يتم إنصافها، من خلال الحقوق المشروعة التي منحت لها في قانون الإنتخابات الفلسطيني، حيث قال المواطن عبد الحي سدر من الخليل: «بدأ القانون بإنصاف المرأة، ومن أبرز الأمثلة على قدرتها في أن تكون صاحبة قرار، تبوّء الأخت جانيت ميخائيل منصب رئيس بلدية رام الله، وهذا يدلل بأن المرأة قادرة على أن تكون في مناصب قيادية، بل ونرى أنها في بعض المناصب تكون أجرأ من الرجل في إتخاذ القرار».

وقد أثنى المواطن غيّاب محمد السلامين من بلدة السموع، على ما قاله سدر وأضاف: «ها هي المرأة تأخذ حقها بالترشح للإنتخابات، وما سيزيد في نجاحها، وقدرتها على إتخاذ القرار، أنها مقبولة ومسموعة أكثر من قبل الرجال، ولو رأت في نفسها أنها غير قادرة على صنع القرار، لما دخلت هذا المعترك أصلا».

مع ذلك، فإن حق المرأة في الترشح وفق نظام (الكوتا) الذي أقره القانون، لم يُرضي المواطنه أم زين الشرباتي من الخليل، حيث رأت أنه لم ينصف المرأة: «كان على مُشرّع القانون أن يساوي ما بين عدد الذكور والإناث، وفق نظام القوائم المعمول به، فالمرأة ليست قادرة على المشاركة من خلال نظام (الكوتا) فحسب، وإنما أثق بقدرتها على النجاح، حتى لو شاركت بشكل مستقل وفق نظام الدوائر أيضاً».

غير أن المواطن محمد عبد الله عطية من إحدى قرى الخليل، وعلى الرغم من أقراره بأن المرأة تمثل نصف المجتمع، وأن لها الحق مثل أي إنسان آخر، إلا أنه رأى بأنه يكفي مشاركة إمرأة واحدة بين كل عشرة رجال، وان وجود إمرأة واحدة في قوائم المرشحين للمجالس المحلية كافية جداً.

الدين لا يعارض

وعن رأي الدين في مشاركة المرأة في الإنتخابات، قال مفتي محافظة الخليل الشيخ محمد ماهر مسودي: «وإن كنّا نعتبر أن الرجال أقدر على هذا العمل، مع ذلك، فإن الدين لا يعارض مطلقاً أن تكون المرأة، رئيسة بلدية، أو عضو مجلس بلدي، شريطة أن لا يتنافى ذلك مع أنوثتها وطهارتها، لكن على المتزوجة منهن أن تطلب إذن زوجها، أو تطلب غير المتزوجة إذن وليها، ولا ينقص ذلك من قيمتها أو قدرها، بل هو حفاظاً عليها وعلى مكانتها».

يشار إلى أن مجلس الوزراء كان قد قرر في جلسة عقدها في٨-٢-٢٠١٠، الدعوة لإجراء إنتخابات مجالس الهيئات المحلية في كافة أرجاء الوطن، في ١٧-٧-٢٠١٠، والتي ستجرى استناداً إلى قانون انتخاب مجالس الهيئات المحلية رقم ١٠ لسنة ٢٠٠٥ وتعديلاته، وحسب النظام الانتخابي النسبي (القوائم(. ووفق هذا النظام بشكل عام، فيجب أن لا يقل تمثيل المرأة عن مقعدين، في الهيئة المحلية التي لا يزيد عدد مقاعدها عن ثلاثة عشر مقعداً، حيث إشترط وجود امرأة واحدة من بين الخمسة أسماء الأولى، وامرأة واحدة من بين الخمسة أسماء التي تلي ذلك، لقبول أي قائمة إنتخابية،ً وطبعا بحسب عدد المقاعد المخصصة لكل هيئة أو مجلس محلي.

مديرمكتب لجنة الانتخابات المركزية في محافظة الخليل خليل الحلاق، أشار إلى أن معظم القوائم المرفوعة للجنة الإنتخابات في المحافظة (حتى لحظة إعداد هذا التقرير) قد إلتزمت بوجود إمرأة واحدة في أول خمس أسماء، حيث قال: «معظم القوائم إلتزمت بالحد الأدنى الذي نص عليه القانون بما يتعلق بمشاركة المرأة، فالكل حاول تحقيق القانون وليس أكثر من ذلك، كما أنه لم تردنا للآن أي قائمة تترأسها إمرأة».

بدورها قالت عضو المجلس التشريعي الدكتورة سحر القواسمي، أن نسبة مشاركة المرأة التي تشكل ٢٠٪، هي نسبة الحد الأدنى التي فرضها القانون لصالح المرأة، بمعنى أن القانون لم يشترط وجود أكثر من هذه النسبة، وأضافت قائلة: «على الرغم من ذلك، فقد طالبنا بحصول المرأة على نسبة ٣٠٪، لكننا لم نحصل على وعود بذلك، بالرغم من أن هنالك توافق وتوجه دولي، على أن تكون النسبة الممثلة للمرأة، في أي جسم منتخب هي ٣٠٪ كحد أدنى، مع ذلك نعتبر أن النسبة التي أقرها القانون للمرأة تمييز إيجابي لصالح المرأة».

رئيسة الإتحاد العام للمرأة الفلسطينية في محافظة الخليل مريم هديب، والتي رأت أيضا أن نسبة تمثيل المرأة التي أقرها القانون في القوائم الإنتخابية، أقل مما يجب، حمّلت ذات المرأة جزء من المسؤولية عن ذلك: «لو كان هناك دعم نسوي كافي، لكان تمثيل المرأة مثل تمثيل الرجل، ولما اعتمدنا على القانون بما يتعلق بنسبة تمثيل المرأة، فلاحظ في السويد مثلاً، القوائم يكون الترتيب فيها رجل فإمرأة وهكذا، لكن لدينا للأسف يوجد نساء لا تعنيهن المرأة ولا دورها، بحيث لا يتقبّلن أن تُمثلهن أخرى، بسبب غيرة بعضهن القاتلة أحياناً، وبالتالي فالمشكلة بالأساس تعود لمقدار وعي المرأة».

ليس تكميليا

وقد رفضت هديب اعتبار دورالمرأة تكميليا، حيث قالت: «دور المرأة في المجالس البلدية ليس تكميلياً، فكما للرجل قدرات، للمرأة قدرات أيضاً، إضافة إلى أنها يجب أن تكون شريكة الرجل في كل شيء، في التنمية، في صنع القرار.. إلخ، ثم إن هناك أمثلة على نجاح المرأة، من خلال التجارب السابقة، من خلال نساء أثبتن جدارتهن، وقوتهن، كعضوات مجالس محلية، وكرئيسات بلديات كما في بلدة ترقوميا».

إنتصار غريب، رئيسة بلدية ترقوميا السابقة، والتي كانت قد تلقت دعم أسرتها وعائلتها في الإنتخابات السابقة عام ٢٠٠٥، لن تتمكن هذه المرة من الترشح من خلال القوائم الإنتخابية: «لدينا عشرعائلات كبيرة تريد توزيع المهام عشائرياً على جميع عائلات البلد، وليس حسب الكفاءة، وبالتالي أنا كإمرأة ما عدت أتلقى دعم عائلتي، حيث قالوا لي أنهم يريدون أن يمثل العائلة رجل عوضاً عني، وأن العائلات الأخرى تريد إعطاء الفرصة لنساء أخريات،

وفعلاً قدمت العائلات الأخرى إمرأتين (ليس لهن أي تجربة مهنية سابقة في هذا الإطار) لمقعدين من أصل ١٣ مقعداً للمجلس البلدي، رغم أنني في الفترة التي ترأست بها البلدية أحضرت العديد من المشاريع للبلد، وأنني كنت أنزل لتفقد تنفيذ المشاريع بنفسي، مع ذلك عرض عليّ رئيس إحدى القوائم أن أشارك في قائمته، ويكون ترتيبي رقم ٢ في القائمة، لكنني رفضت، لكون أن قائمته غير مهنية، بدليل أنه وضع أخته، ونسيبته معه في القائمة».

وقد أبدى وزير الحكم المحلي خالد القواسمي قلقه حيال عدم مشاركة عضوات سابقات فاعلات في القوائم المقدمة للترشح: «المقلق أن عضوات مجالس بلدية وقروية سابقة، من الناجحات والناشطات، لا يقمن بترشيح أنفسهن من جديد، ربما لأنها تعبت، أو أن تزكية العائلة أو المناكفة لعبت دوراً هاماً».

وفي ذات الإطار، أكد القواسمي أن نظام الكوتا هو نظام مؤقت، وضعه المشرع للتعاطي مع حالة عدم تمثيل المرأة في المجالس البلدية، وأضاف: «مشاركة المرأة في الإنتخابات في فلسطين حديثة، وبالتالي فقد فتحنا للمرأة نافذه لتثبت نفسها من خلال نظام الكوتا، الذي يعتبر إجراءً مؤقتاً وضعه المشرع. وآمل أن نصل يوماً لمرحلة تسود فيها القناعة بأن المرأة قادرة على بناء قدراتها، ليس لأن القانون هو من فرض ذلك، ولكن لأنها تستطيع ذلك، وآمل قريباً أن لا يكون هناك أي حاجة لنظام الكوتا».

ما هو سر «إخفاق» النساء في الانتخابات المحلية؟

جنين- عبد الباسط خلف

ضربت فداء علي، وهي خريجة جامعية في علم الاجتماع أخماساً بأسداس، قبل اتخاذ قرار نهائي بعدم خوض انتخابات المجلس المحلي في قريتها قرب جنين. تُعلل: «قضية مشاركة المرأة في الانتخابات المحلية محفوفة بالمخاطر، وحسابات الخسارة تفوق ألف مرة حسابات الربح؛ لأن المجتمع بعقليته الذكورية لم يُغير نظرته بعد تجاه التعاطي مع النساء، ويتعامل معنا كديكور وكتكملة عدد، ولولا القانون لشطبنا من قوائمه نهائياً».

قرأت علي ما تمخضت عنه ورشة عمل محلية في جنين، حول دعم ترشيح النساء في الانتخابات، والتي نظمتها وزارة الحكم المحلي نهاية أيار الماضي، بيد أنها تمسكت برأيها، وصممت عدم خوض تجربة ستكون فاشلة، لأن النساء أنفسهن لن يدعمن قرارها.

تقول: «لو أن كل امرأة انتخبت امرأة مثلها، لاستطعنا انتزاع (كوتا) بنسبة ٥٠٪ من المقاعد في المجالس المحلية والتشريعية والحزبية، لكن هذه أحلام لا أكثر ولا أقل، ويبدو أن قرار الحل والربط ليس بيد النساء بعد.

تركيبة سياسية

ترى مديرة وحدة النوع الاجتماعي في وزارة الحكم المحلي في جنين، أسماء خروب التي أدارت الورشة: مشكلة (الكوتا) أنها أعطت النساء ٢٠٪ من المقاعد البلدية، وهذا ما دفع الأحزاب السياسية ومنها حركة «فتح» إلى التمسك بترشيح ٣ نساء في قوائمها، ولم تسع إلى رفع العدد حتى بواحدة أخرى، ولو أن الأطر السياسية كانت معنية بالمرأة لتغير كل شيء.

وبحسب خروب، فإن تفكير الأحزاب السياسية بخصوص التعاطي مع النساء في العملية الانتخابية، غير مختلف عن تعامل المجتمع والنظرة العشائرية للنساء، باعتبارها رقماً وتعبئة فراغ ليس إلا.

تُضيف خروب: «لا يمكن النهوض بأعداد النساء المُمثلات في المجالس المحلية وغيرها، إلا إذا أرادت التنظيمات ذلك، ولعل تجربة النساء في المؤتمر السادس لحركة فتح العام الماضي، أثبتت أن طبيعة التعامل مع المرأة، التي لم تتعد نسبة مشاركتها في المؤتمر ١٠٪ بالتزامن مع رفض منح (كوتا) للنساء داخل اللجنة المركزية، وتواضع عدد الفائزات بمقاعد في المجلس الثوري».

تنهي: «نعمل على أن تكون النساء داعمات للنساء، وهذا إذا ما تحقق في المرحلة الأولى فسيحدث تغييراً ملحوظاً».

تتقاطع وجهة نظر منسقة طاقم شؤون المرأة في جنين إيمان نزال مع تحليل خروب، لكنها تضيف أن الأحزاب السياسية اعتبرت نظام (الكوتا) بمثابة قانون مقدس، ولم يحاول أي تنظيم أن يرفع عدد المرشحات في قوائمه.

مجالس بلا نساء خلافاً للقانون

تتابع نزال: حتى (الكوتا)، بالرغم من وزنها المحدود نسبياً، إلا أن مجالس محلية في التجربة الماضية التفت عليها، كحال قريتي كفرذان والعرقة في محافظة جنين، اللتين خلتا من نساء أعضاء في المجلس.

تواصل: «تابعت الأمر مع وزارة الحكم المحلي، وطالبت المسؤولين بالتدخل انتصاراً للقانون، وإنصافاً للنساء، لكنني استمعت إلى إجابات تفيد بأن الحسابات العائلية هي التي أوصلت الأمور إلى هذا الحد، ولا يمكن التدخل في التركيبة العشائرية ذاتها».

تفيد نزال: «نُنسق ونُخطط كأطر نسوية واتحاد عام للمرأة الفلسطينية أن نرفع نسب النساء في البلديات والمجالس الكبيرة، من ثلاث إلى خمس نساء،

[illegible]

تمييز سلبي

ترى الناشطة النسوية وعضو الهيئة الإدارية للاتحاد العام للمرأة الفلسطينية آمنة دراغمة، أن سبب إخفاق النساء يعود إلى عدم الثقة بالنساء التي تتعامل معهن الأطر السياسية بتمييز سلبي، والخوف من الإخفاق الذي يحيط بالنساء، إضافة إلى العادات والتقاليد والعشائرية.

تورد دراغمة نموذجاً لسيدة في إحدى تجمعات جنين، سهرت الليالي في مجالس عائلتها لتحديد المرشحين، وحينما سُئلت عن سبب عدم ترشيح نفسها، كانت إجابتها أن العائلة تعتبر الرجال أصلح مَن النساء للفوز وللعمل في الهيئة المحلية!

تضيف: «المرأة في المؤسسة التنظيمية والعشيرة والواقع مجرد رقم، وتغيير هذا الواقع باعتباره مسألة اجتماعية وإنسانية يسير ببطء السلحفاة، حتى نستطيع تبديل العقلية السائدة في التعامل مع المرأة بتمييز سلبي».

تتابع: «لو فكرت مجموعة من النساء في طرح قائمة خاصة بهن في الانتخابات المحلية القادمة، فإنهن لن يجدن التشجيع من نساء مثلهن لخوض هذه التجربة وإنجاحها حتى النهاية، وسيجبرن في النهاية على وقف المحاولة من تلقاء أنفسهن.

اقتراح

تفترح صفاء عبد الكريم، الموظفة في شركة خاصة، أن تلجأ المرأة إلى تأسيس تكتل نسوي، يقترح قائمة تتساوى فيها عدد المرشحات بعدد المرشحين وبكفاءات علمية وخبرات، وتقدم نموذجاً لمجلس محلي ناجح واحد في المرحلة الأولى، يتشارك فيه الرجل والمرأة بالعمل جنباً إلى جنب، ويصلح لأن يقلده الآخرون.

تنهي: «بالتأكيد ستكون تجربة مهمة، لأن المرأة ليست مجرد أرقام، أو تشكيلات جانبية غير مؤثرة، بل هي شريكة».

شرفة العار

ديما احمد صالح

بفرح شديد، كانت منار تبتسم وتبكي، وهي تراه يتقدَّم فوق كرسيّه المتحرِّك صوب الغرفة الصغيرة. النساء والأغاني تفتح له الطريق، ودمعته مُعلَّقة بطرف ابتسامته. وصل العتبة، أوقف الكرسي، واتكأ على حلق الباب محاولاً الوقوف، امتدت يد امرأته نحوه لتساعده، لكنّه أبعدها برفق وهو ينظر إليها ويهزّ رأسه بحنان. في ذلك اليوم رقص أمامها كصبيٍّ صغير، غير مُصدِّق أيّ هبةٍ تلك التي منحه الله إياها بعد هذا العمر الطويل؛ غير مصدِّق جسده، جسده الذي استجاب له بصورة لم يكن يتخيَّلها. وكلما همَّ بأن يتوقّف استجابة لإلحاح زوجته أمّ الأمين وزوجة ابنه نبيلة، اندفع في الرّقص أكثر، وهو يرى ذلك الكرسيّ المتحرك يحدّق فيه وينتظره باسطًا ذراعيه المعدنيَّتين الباردتين أمام الباب. بفستان عرس أبيض جلست على الثلوج، وبدا أن الزّهور البلاستيكية المحيطة بها قد امتلأت بالحياة فجأة؛ أما أمّها، فكانت تتطاير في فضاء الغرفة الضيِّق كفراشة، ولم يعد البيت سوى حقل نور. صوت عبدالحليم حافظ، لم يكن جميلا هكذا في أيّ يوم مضى، وبدا أن والدها أبو الأمين، لم يسمعه من قبل وهو يردد تلك الأغنية كمن يغنّي للمرّة الأولى في حياته:

وحياة قلبي وأفراحه
وهناه بمساه وصباحه
ما لقيت فرحان في الدنيا
زي الفرحان بنجاحه

شرفة العار، والتي تبدأ بالرقص والأغاني بنجاح منار الأبنة الوحيدة لأبو الأمين الذي يكون في غاية السعادة، وكأنه في حلم. ولا أعرف إن كانت بمحض الصدفة، أم أن الكاتب «ابراهيم نصر الله» أراد أن يوصل إلينا رسالة عن طريق حلم تقليدي يفسره الجميع دائماً بأنه شر، فمنار ترتدي ثوب الزفاف الأبيض، والتي تُفسر على أن صاحبة الحلم ستُصاب بمكروه ما، كما هو مُتعارف عليه.

تتطرق الرواية إلى قصة ضحايا جرائم ما يسمى بالشرف، حيث أن الكاتب قام بالإطلاع على تفاصيل أكثر من خمسين (جريمة شرف). قدم ابراهيم نصر لله هذه الشرفة بإسلوب سلس، جميل ومثير، يجعلك لا تتخلى عن الكتاب حتى أخر صفحة، حينما تشعر عندها بمذاق الدموع المالحة السائلة على وجهك، لتلك النهاية المتوقعة من عنوان الكتاب، والنهاية الدائمة لمثل هذه القضايا، لكن تظل وحتى آخر لحظة على أمل أن يفاجئك الكاتب بالنهاية السعيدة، التي تعودنا عليها في الأفلام العربية.

فرح أبو أمين حينما رُزق بطلفته منار، وأصر على تعليمها أفضل تعليم وعلى توفير سبُل العيش الكريم لها، وهو سائق التاكسي البسيط. لكنه وجد نفسه طريح المرض والفراش، ولا يستطيع أن يرحم أبنته من معاناة المواصلات والمتطفلين وهي في طريقها إلى الجامعة، ومع الفشل المتواصل لأكبر أبنائه «أمين» في كل شيء، حتى في الحصول على رخصة قيادة سيارة عمومية، ومع أنانية ابنه الأوسط عبد الرؤوف، الذي لم يُقدم أي شيء لأسرته بعد تخرجه من الجامعة، بل ظل مستمراً في إستغلالهم. ثم سافر إلى الإمارات وتزوج ونسي أسرته. أما الأخ الأصغر «أنور»، فهو طالب في المدرسة، ولا حول له ولا قوة.

لذلك اضطر الأب أن يُعطي التاكسي إلى سائق غريب، هو «يونس»، الذي يستلم العمل على التاكسي، بالإضافة إلى إيصال منار، إلا أن المشكلة تنبُع حينما يحصل أمين على الرخصة، لكنه لا يخُبر يونس، بل يستمر لفترة بالتسكع معه ليلاً، ليتعرف على الأساليب الدنيئة التي يتبعها من الذهاب إلى الملاهي الليلية، وسرقة الزبائن السكارى وغيره. وهنا يعرف أن يونس لم يكن يعطي أسرته إلا الفتات، بينما كان يستمتع بخيراتهم. فيقوم أمين بالاستدانة من يونس مبلغاً من المال، ويُفاجئه بحصوله على الرخصة وإستغنائه عن خدماته، مما يُضاعف من حقده، ناهيك عن رفضه إعادة المال.

تتخرج منار من الجامعة في تلك الفترة، وتعمل كمرشدة اجتماعية في إحدى المدارس، وتكون حياتها هادئة وجميلة، فهي تعمل وتعيش قصة حب جميلة مع زميلها في الدراسة عصام.

أما أمين الأبن العاق الفاسد، فلا تتوقف تصرفاته إلى هذا الحد، بل يكون له علاقة بجارته رغم أنه متزوج من أبنة خالته «نبيلة» وله طفلة، فُيفضح أمره، لذلك يضع أسرته أمام الأمر الواقع ويتزوجها. وفي نفس ليلة الزفاف، يقوم يونس بإختطاف منار وإغتصابها، انتقاماً من أمين! لتدفع منار ثمن قذارة أخيها، ويُكافأ أمين بالزواج مرة أخرى!!

وهنا تبدأ منار رحلة المعاناة، وهي التي تعمل كمرشدة اجتماعية وعليها أن تحل مشاكل الطالبات، لكن مالذي تستطيع أن تقدمه وهي لا تستطيع أن تحل مشكلتها هي!

ويتقدم عصام لطلب يد منار، وهو لا يعرف ما الذي جعلها تبتعد عنه، إلا أنها ترفضه بشدة، مع عدم إدراك الأسرة للكارثة التي حلت عليهم جميعاً.

تعرف بعد ذلك الأم وأبنه الخالة ما حدث مع منار، ويُحاولن أن يُقدمن يد العون لها، إلا أنهما تفشلان مع عدم توفر المال والجهل وضعف الحال. ويأتي بعد ذلك دور كل من أنور وأمين في معرفة ما ألم بمنار، إلا أن أنور يقف موقف عظيم، ليقوم بحماية أخته من بطش أمين. وعندما يعرف أمين أنه هو السبب في كل ما حصل، يحاول أن يساعد أخته الوحيدة، لكن الطبيب يتراجع ويرفض القيام بعملية الإجهاض، ليتخلي أمين مرة أخرى عن أخته!!

حينما تظهر ملامح الحمل على جسد منار، ينتقل الخبر كالعادة من شخص لآخر وكأنه وباء مُعدي، فقد وجدوا موضوعاً ليتسلوا به! فيصل الوباء إلى أعمام منار، فيتدخلوا ويطالبوا الأب والأبن بأن يردوا شرف وكرامة الأسرة، ويقوموا برفع الراية السوداء على باب المنزل.

يحاول أمين أن يقتل منار، إلا أن الشرطة تتدخل وتأخذها من أجل حمايتها، لكن الغريب في الموضوع أنه يتم رمي منار في السجن مثلها مثل أي مجرمة، وتتلقى هنالك كل أنواع الذل والهوان «إن وقع الجمل كثرت سكاكينه»، إلى أن تنجب ويتم أخذ طفلها.

هنا يظهر عبد الرؤوف، والذي قام أعمامه بإستدعائه بحجة أن والدته مريضة، ويقومون بعدها بإخباره بما حدث، ليكون القرار أن يتم إخراج منار من السجن من خلال كفيل، على أن يتم توفير عمل لها في الإمارات، حيث لم يعد لها

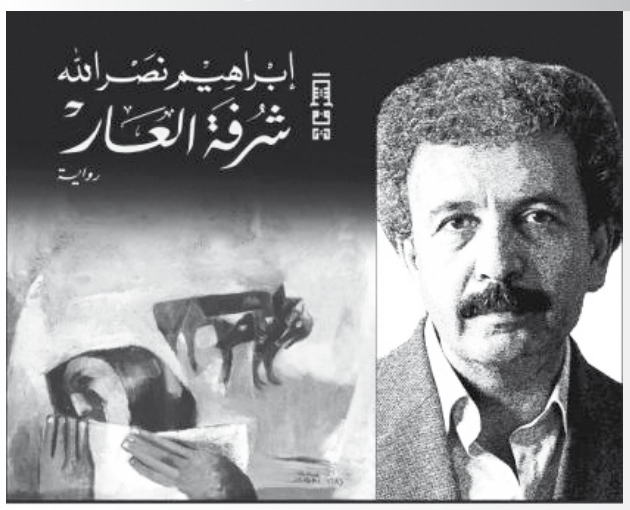

عيش في هذه البلد. لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، حيث يتضح أن هذه خدعة من قبل أمين وأعمامه، فيتم استدراج عبد الرؤوف ومنار إلى منزل الأسرة، وهنالك وفي منتصف الطريق، تُقتل منار، وبدون رحمة، لتغرق في دمائها النقية وتلقى روحها السلام.

نظر أبو الأمين إلى الأعلى يلاحق طيران ابنته، فاصطدمت عيناه بذلك البياض الغريب للراية البيضاء، التي كان أخوه سالم يثبتها في تلك اللحظة فوق مظلة الباب، الراية التي راحت تخفق وتخفق وتنثر بياضها المميت، حاجبة وجوه كل أولئك الذين كانوا في المكان.

يظل الكاتب خلال الراوية يتطرق إلى ذكريات أبو الأمين مع منار، حينما كانت طفلة، مما يجعلك تشعر بغصة ما، لتنظر لكل طفلة حولك وتتساءل: ما الذي ينتظرك حينما تكبرين؟ هل هي نهاية سعيدة أم نهاية حزينة؟ كيف ستتعاملين مع تلك الأمانة؟؟

أنتِ يا من قام المجتمع والقانون بتحميلك أمانة اسمها الشرف، فتم الربط بينك وبينها، وحرر الرجل من هذه المسؤولية! فهل الرجل لا شرف له دون المرأة؟؟ أم أنه أراد أن يُلقي ما يثقل كاهله على كتف المرأة، وليصبح الرجل بعدها بلا شرف !!

فما هو تعريف الشرف؟

وأين الشرف في جرائم ما يسمى القتل على خلفية شرف العائلة؟؟ وإلى متى ستظل الضحايا تتساقط من حولنا؟ وإلى متى سيظل القانون هو الغطاء الذي يحمي الرجل ويوفر له الرخصة لسفك دماء الآلاف من الأبرياء؟

رواية «شرفة العار» تستحق أن تُقر ككتاب، يجب على كل طالب وطالبة أن يقرأه، لربما غيرت فيهم شيء ما، وأعطتنا جيل جديد يُقدر أبسط حق من حقوق الإنسان، حق الحياة.

قضايا النوع الاجتماعي

ضعف إعلامي ومصطلح مبهم

ناردين ابو نبعة

تعتبر قضايا النوع الاجتماعي، من الأمور الهامة التي يجب أن تعالج في وسائل الإعلام، نظراً لضعف تناول الإعلام هذه القضايا وتسليط الضوء على هذا المفهوم.

ونظراً لذلك، نظم طاقم شؤون المرأة دورة تدريبية بدعم من مؤسسة فريدريك ايبرت الألمانية لمجموعة من الإعلاميين، لتعزيز هذا المفهوم في وسائل الإعلام المختلفة، قام بالتدريب كل من الصحفي صالح مشارقه ومنسقة الإعلام المسموع في الطاقم أمل وحده.

في البداية استعرض الصحفي صالح مشارقه، لمحة تاريخية عن الفكر النسوي، وأعطى لمحة عن أهم المدارس والاتجاهات المتعلقة بهذا الفكر، من أهمها النسوية الليبرالية، التي تركز على تغيير القوانين، ولكن عبر فترة من الزمن وليس مباشرة، من أجل ضمان حقوق النساء.

ويضيف مشارقه، أما المدرسة الاشتراكية فمنهجها التغيير السريع بالثورة، وركزت على الدولة وطالبت بحاضنات للنساء لإخراجهن للعمل ولحماية انجازاتهن وتغيير أدوارهن.

ويتابع: « تحمل مدرسة النسوية الراديكالية الرجال المسؤولية، وتؤكد أن أزمة المرأة بوجود الرجل».

وتطرق مشارقه لأهم الأخطاء الشائعة في الصحافة المكتوبة، وأكد أن إعلام المؤسسات مدفوع الثمن في كافة وسائل الإعلام.

وأشار لضرورة كسر الخطوط المرسومة للرسالة الإعلامية، خاصة في ظل تكرار الرسالة في كافة المناسبات وفي كل عام، ونوه أن الخطر يكمن في عيش أجيال كاملة في ظل هذا الخطاب التقليدي دون تغير ملحوظ.

وناقش مشارقه عدد من المصطلحات والكلمات الرنانة والشائعة في المجتمع، والتي تؤثر على عقول الناس وتعكس سلوكهم وتصرفاتهم، والإعلام يعززها، وقال أن العالم العربي يعيش خارج هذه المفردات، لأننا لا نعيش بها، فالإعلام يركز على المصطلح ولا يحمل الخطاب، دون معرفة تفاصيل.

وأشار أن وسائل الإعلام تطرح القضايا والأسئلة، بطريقة تجعل الجمهور يتفاعل معها كما تريد الوسيلة.

وأكد مشارقه، أن الثقافة الشعبية والقوانين الوضعية، كلها فكرت عن المرأة ولم تأخذ برأيها.

وتحدث الصحفي مشارقة عن مفهوم تمكين النساء لمرحلة اتخاذ القرار، ونوه أن خيار المرأة مرتبط بثلاثة أمور، وهي المجتمع والدولة والسوق، وهناك ضغط على خيار المرأة، فهو معاقب ومحدد بالأمور السابقة، وأشار أن الحل يكمن بإزالتها وإعطاء النوع الاجتماعي الحرية لأخذ القرار المناسب.

وعرضت أمل جمعة منسقة الاعلام المسموع في الطاقم تجربتها في برنامج ضد الصمت، وتحدثت عن كيفية استخدام الإذاعة لبلورة النوع الاجتماعي، وضرورة تناول الموضوع من جانب مختلف، عما هو متداول في وسائل الإعلام.

وأكدت وحده على ضرورة عدم وقوف الإعلاميين عند حدود المشكلة وسرد تفاصيلها، فمن المفضل طرح المشكلة بشكل عام ثم خاص، مع ضرورة التركيز على ما وراء الخبر أو المشكلة.

وتم في نهاية الدورة مناقشة تجارب المشاركين في مجال عرض قضايا النساء، والمشاكل المترتبة على ذلك.

وعرضت إحدى المشاركات تعرضها للتهديد بالقتل إثر تناولها موضوع التحرش وقضايا الاغتصاب.

وتم تقييم التدريب وتعبئة استمارة، والخروج بعدد من التوصيات، أهمها، دعوة وسائل الإعلام لتسليط الضوء على قضايا المرأة وتبني قضايا النوع الاجتماعي.

ورقة حقائق

«لكل فرد حق التمتع بجنسية ما»
«لا يجوز حرمان شخص من جنسيته تعسفاً أو إنكار حقه في تغييرها»
المادة ١٥ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

حول النكبة

- بلغ عدد الفلسطينيين ١,٤ مليون نسمة في عام ١٩٤٨
- تشكل نسبة اللاجئين الفلسطينيين في الأراضي الفلسطينية ٤٥٪ من مجمل السكان الفلسطينيين المقيمين في الأراضي الفلسطينية نهاية العام ٢٠٠٩م.
- يتوزع اللاجئون المسجلون لدى وكالة الغوث منتصف عام ٢٠٠٩ حوالي ٤,٧ مليون لاجئ فلسطيني، ويشكلون نسبة تقارب ٤٣,٤٪ من مجمل السكان الفلسطينيين في العالم يتوزعون بواقع ٤١,٧٪ في الأردن، ٩,٩٪ في سوريا ٩٪ في لبنان، وفي الضفة الغربية ١٦,٣٪، وقطاع غزة ٢٣,١٪.
- يتوزع اللاجئون على ٥٨ مخيماً، بواقع ١٠ مخيمات في الأردن، ٩ مخيمات في سوريا، ١٢ مخيماً في لبنان، ١٩ مخيماً في الضفة الغربية، ٨ مخيمات في قطاع غزة.
- أكثر من ٤٤ مجزرة ارتكبتها العصابات الصهيونية في عام ١٩٤٨ ضد العزل الفلسطينيين، وأسفرت عن مقتل ١٥,٠٠٠ فلسطيني.
- سيطر الصهاينة خلال مرحلة النكبة على ٧٧٤ قرية ومدينة عربية، حيث قاموا بتدمير نحو ٥٣١ قرية ومدينة فلسطينية.

هدم البيوت

- تمارس إسرائيل سياسة هدم البيوت العربية في الأراضي الفلسطينية المحتلة بشكل عام، وفي القدس الشريف بشكل خاص، منذ حرب حزيران ١٩٦٧ العدوانية وحتى أيامنا هذه.
- منذ عام ٢٠٠٠ إلى يناير ٢٠١٠ تم هدم ١٠١٠ وحدة سكنية في القدس الشرقية.
- شهد عام ٢٠٠٩ ارتفاعاً ملحوظاً في عدد المنازل التي هدمت في القدس، بما في ذلك ١٠٣ وحدة سكنية مأهولة، منها ٢٣ عن طريق هدم القسري، وتشريد ٥٦٩ فلسطينياً من بينهم ٢٨١ طفلاً.
- أكثر من ٣٤٪ من الأراضي الفلسطينية قد تمت مصادرتها لصالح البناء الاستيطاني اليهودي، الذي يشكل سوراً يحيط بالمدينة المقدسة، ويشوه طابعها التاريخي بأبنيته متعددة الطوابق.
- تُعتبر ٥٢٪ من أراضي المدينة «خضراء» لا يسمح البناء فيها، لتبقى احتياطياً مستقبلياً لبناء المستوطنات. ويسمح بالبناء فقط على ١٤٪ من الأراضي المكتظة أصلاً بالبناء.
- سياسة ترخيص البناء تأخذ طابعاً عنصرياً، عندما تسمح البلدية بخمسة طوابق أو أكثر للبناء الإستيطاني، ولا تسمح إلا بطابق واحد للفلسطينيين في نفس المكان، علماً بأن الاستيطان يقوم على الأراضي الفلسطينية، والمملوكة لهم.
- ثلث سكان القدس الشرقية يقيمون في مساكن مهددة بالإزالة، وأصبح عدد المنازل المهددة بالإزالة اليوم أربعة أضعاف عدد المنازل التي منحت تراخيص بناء منذ العام ١٩٦٧.
- تقدر الأمم المتحدة أن هناك ٦٠،٠٠٠ فلسطيني في القدس الشرقية، يعيشون حالياً في المباني المهددة بالهدم.

جدار الفصل العنصري

- حسب بيانات مكتب الإحصاء المركزي الفلسطيني، فإن المنطقة العازلة بين الجدار والخط الأخضر، وصلت إلى ما يقرب من ٥٥٥،٠٠٠ دونم، وهو ما يمثل حوالي ٩,٨٪ من الضفة الغربية.
- عزل الجدار ١٩١,٠ km^2 في المنطقة الشرقية، وهو ما يمثل نحو ٣,٤٪ من الضفة الغربية.
- من المتوقع أن يلتهم الجدار نحو ٤٧٪ من أراضي الضفة الغربية حال الإنتهاء منه.
- تهدف إسرائيل ايضاً إلى إنشاء منطقة عازلة على طول الحدود بين قطاع غزة، مع عرض أكثر من ١٥٠٠ متر على طول الحدود الشرقية. وطول حوالي ٥٨ كيلومتراً، «وهذا يعني اقتطاع ٨٧ km^2 من المساحة الكلية لقطاع غزة (والتي هي واحدة من الأكثر كثافة سكانية في العالم)، وسوف تضع ٢٤٪ من قطاع غزة تحت السيطرة الإسرائيلية

المواطنة

- في الـ٣١ من يوليو تموز (٢٠٠٣)، صادق الكنيست الإسرائيلي بالقراءة الثالثة على قانون (المواطنة)، الذي يهدف إلى تقليص لم شمل عائلات أفرادها من سكان الأراضي الفلسطينية (الضفة الغربية وقطاع غزة)، ومن المواطنين العرب في إسرائيل، وذلك بأغلبية ٥٣ صوتاً مقابل ٢٥ صوتاً.
- تؤثر القوانين والقرارات الإسرائيلية الخاصة بالمواطنة ومنح الجنسية، والدخول إلى إسرائيل، على حياة آلاف العائلات الفلسطينية. وعلى سبيل المثال، سحبت بطاقات الهوية ل ٤٥٧٧ فلسطينياً في العام ٢٠٠٨، وبحسب مركز القدس، سعت إسرائيل لإبقاء ٧٠ ألف فلسطيني فقط من أصل ٢٧٠،٠٠٠ ألفاً في القدس يحملون الهوية الإسرائيلية، بهدف ضمان أغلبية يهودية في المدينة المقدسة.
- استخدمت السلطات الإسرائيلية وسائل إضافية لتحقيق أهدافها الديمغرافية، مثل إلغاء حقوق الإقامة لسكان القدس الفلسطينيين مع أنهم مواطنيها.

الأمر العسكري رقم ١٦٥٠

- منذ بداية الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٦٧، تعرض أكثر من ١٥٠,٠٠٠ فلسطيني لسحب الهويات.
- القرار ١٦٥٠ هو أمر عسكري بشأن منع «التسلل»، صدر عن القائد العسكري العام لقيادة المنطقة الوسطى لقوات الاحتلال الاسرائيلي، دخل حيز التنفيذ بتاريخ ١٣\٤\٢٠١٠.
  - يجرم هذا الأمر كل الأشخاص المتواجدين في الضفة الغربية بشكل «غير قانوني»، ويعرضهم للترحيل القسري.
  - يستخدم هذا الأمر تعريفات غامضة وواسعة لكل من «المتسلل والتصريح والوجود القانوني»، مما يجعله قابلاً للتطبيق على عدد أكبر من الأفراد.
  - يستهدف هذا الأمر عدداً من المجموعات التي تعتبر عرضة للإبعاد مثل:
    - » سكان قطاع غزة الذين يعيشون في الضفة الغربية.
    - » أزواج وزوجات فلسطينيي الضفة الغربية الذين يحملون جوازات سفر أجنبية.
    - » الأجانب الذين يحملون جوازات السفر الاجنبية ولديهم تأشيرات سياحية.

سياسة الإبعاد وسبل مواجهتها

كفاح حرب*

إن فهم سياسة إبعاد المواطنين الفلسطينيين من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي، وعلى فترات زمنية متباعدة، يتطلب النظر إلى تلك السياسة من أوجه عدة أهمها: وجهة نظر القانون الدولي لسياسة الإبعاد، ومفهوم الإبعاد من وجهة نظر السياسة الإسرائيلية، والإبعاد الذي تعرض له الشعب الفلسطيني بنوعيه الجماعي والفردي.

وفي محاولة جادة لإدراك عمق سياسة الإبعاد، التي لا زال الاحتلال يطبقها بطرق متعددة، وبصور مبرمجة طوال أكثر من مئة عام على ظهور الفكر الصهيوني. هي بداية لوعي الشعب الفلسطيني بأهمية مواجهة تلك السياسة والتركيز عليها، كإحدى ساحات النضال الفلسطيني الأساسية.

سياسة الإبعاد في القانون الدولي

تم تعريف الإبعاد بشكل واضح وصريح في القانون الدولي، في كل من اتفاقية جنيف الرابعة، وفي قانون روما الأساسي، وفي الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على الصور التالية:

١ – الإبعاد أو النفي القسري، يعتبر محظوراً بصرف النظر عن دوافعه، وفقاً لاتفاقية جنيف الرابعة عام ١٩٤٩، حيث نصت المادة ٤٩ / ١ على أنه: «يحظر القيام بعمليات نقل قسرية فردية أو جماعية، وكذلك عمليات إبعاد الأشخاص المحميين من الأراضي المحتلة إلى أراضي الدولة القائمة بالاحتلال، أو إلى أراضي أي بلد آخر، محتلاً كان أو غير محتل، بغض النظر عن الدافع وراء هذه العمليات».

٢– الإبعاد القسري حسب قانون روما الأساسي، «المحكمة الجنائية الدولية»، يعرف بأنه «تهجير قسري للأشخاص المعنيين عن طريق الطرد، أو غيره من أفعال الإكراه، واعتبر إبعاد جزء من سكان الأراضي المحتلة أو جميعهم، سواء داخل أراضيهم أو خارجها، على أيدي قوة الاحتلال، بأنه جريمة حرب». وجريمة ضد الإنسانية في حال تنفيذه على نطاق واسع، أو بطريقة منظمة كجزء من سياسة حكومية.

٣– تضمن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في المادة ١٣ (لكل فرد حرية التنقل واختيار محل إقامته داخل حدود كل دولة، وأن يغادر أية بلاد بما في ذلك بلده، وحق العودة إليها في أي وقت)، وكذلك نصت الاتفاقية الدولية الخاصة بالحقوق المدنية والسياسة، على ما يلي: «لا يجوز حرمان أحد بشكل تعسفي من حق الدخول إلى بلاده».

وقد أكدت اللجنة الخاصة بالتحقيق، والتابعة للأمم المتحدة، أن إتباع إسرائيل لسياسة الإبعاد والتهجير، يعتبر إجراءً غير إنساني، ويعد خرقاً لحقوق الإنسان بالنسبة لسكان الأراضي المحتلة، وفسرت المادة ٤٩ من اتفاقية جنيف الرابعة، بأنها تحظر أعمال الإبعاد حظراً مطلقاً، مهما كانت دواعيه. وهكذا أغلقت الباب أمام أية إدعاءات مهما كانت، ومن ضمنها دواعي الأمن، الذي طالما تشبثت بها سلطات الاحتلال الإسرائيلي لتبرير أوامر الإبعاد.

الإبعاد كركيزة أساسية للسياسة الإسرائيلية

الإبعاد وسياسة الإبعاد ليست إجراءات عفويه لدى الاحتلال الإسرائيلي، بل هي ركيزة أساسية من ركائز الفكر الصهيوني، القائم أساساً على فكرتي (الاستيطان، والتهجير)، لتصبح السياسة الإسرائيلية وثيقة الصلة بشعارين متتابعتين: استند الشعار الأول على فكرة ترحيل العرب، ثم جاء الشعار الثاني مرتبط بفكرة مواجهة الخطر الديمغرافي فيما بعد عام ١٩٦٧.

فقد كان بن غوريون أول من تحدث عن فكرة ترحيل العرب، في خطاب له ألقاه في ٢٩ تموز ١٩٣٧ أمام المؤتمر الصهيوني العشرين، الذي عقد في زيوريخ حيث قال: «من خلال اقتراح ترحيل السكان العرب عن أراضي الدولة اليهودية طوعاً إذا أمكن، وقسراً إذا استحال ذلك، يصبح بالإمكان توسيع رقعة الاستيطان اليهودي».

وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ كانت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، تبني سياساتها على أساس مواجهة «الخطر» الديمغرافي الفلسطيني، الناجمة عن احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة.

وتنامت أفكار ومشاريع وممارسات الترحيل والتهجير والتطهير العرقي ضد الفلسطينيين، حتى بعد قيام السلطة الوطنية الفلسطينية، ففي إطار مؤتمر عقده «المركز متعدد المجالات» في هرتسليا عام ٢٠٠٠، عرض ذلك المؤتمر وثيقة أعدتها قيادات عسكرية وأمنية وسياسية إسرائيلية رفيعة المستوى، تحذر من التكاثر السكاني العربي وتوحي بـ«الترانسفير».

إن إتباع سياسة التهجير والإبعاد وخلق وقائع جديدة ببناء المستوطنات، تجري في صورة تغييرات جغرافية وسكانية «ديمغرافية»، الغرض من ورائها تهويد الأراضي العربية المحتلة، والاعتداء الكامل على الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني في أرضه. إضافة إلى اتخاذ حكومات إسرائيل المتعاقبة فيما بعد من سياسة الإبعاد وسياسة الاستيطان، ركيزتين أساسيتين تبني عليهما سياسة دولة إسرائيل، على الرغم، أن تلك السياستين قد خالفتا بوضوح قواعد وأحكام القانون الدولي الإنساني، وخاصة اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩، المتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب، بشأن إقامتها للمستوطنات وإتباعها سياسة الطرد والإبعاد الفردي للفلسطينيين.

سياسة الإبعاد

واجه الشعب الفلسطيني منذ ظهور القضية الفلسطينية، وحتى وقتنا الحالي، سياسة الإبعاد بأشكال متعددة منها:

أولاً: التهجير الجماعي عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧، وهو ما تعارف على تسمية العامين بعامي (النكبه) و (النزوح).

ثانياً: التهجير الفردي (عملية الترانسفير) فكان تفريغ الأرض من المثقفين وقيادة التنظيمات داخل السجون في الستينات والسبعينات، وفصل قيادة الانتفاضة الأولى عن جسم الشعب الفلسطيني المنتفض على واقعه المرير في الثمانينات، حيث وصل عددهم (٣٠٠٠) مبعداً، وقد تمكن (٧٥) مبعداً فقط أن يعودوا مع القوات الفلسطينية، بعد توقيع اتفاق أوسلو.

ثالثاً: التهجير في ظل وجود السلطة الوطنية الفلسطينية، سواء إبعاد التسعة وثلاثين محاصراً من كنيسة المهد، أو القرار الإسرائيلي رقم ١٦٥٠ «بشأن منع التسلل»، الذي يضع نحو سبعين ألف فلسطيني على أجندة الترحيل.

وبالنظر إلى سياسة الإبعاد كسياسة ثابتة لدى الدولة الإسرائيلية، تمس جوهر الوجود الفلسطيني، لا بد للفلسطينيين من برمجة صور نضالية قادرة على مواجهة تلك السياسة.

وما الحملة الوطنية لعودة مبعدي كنيسة المهد أحياء، التي أعلن عن انطلاقتها في تأبين الشهيد اللواء عبدالله داود، أحد مبعدي كنيسة المهد بتاريخ ٤/٥/٢٠١٠، إلا محاولة جادة لتجسيد نموذج نضالي، يلقى الضوء على ملف الإبعاد من كنيسة المهد كقضية سياسية، من خلال تسليط الضوء على معاناة المبعدين الإنسانية، والعمل على عودة المبعدين أحياء وغلق الملف في أقرب وقت.

الحملة الوطنية

بعد مرور ثمانية أعوام على قضية إبعاد تسع وثلاثين محاصراً من كنيسة المهد، وعلى إثر عودة المناضل عبد الله داوود إلى أرض الوطن مسجى، انطلقت الحملة الوطنية لعودة مبعدي كنيسة المهد أحياءً وليسوا أمواتاً، حيث تعتبر قضية مبعدي كنيسة المهد وكافة مبعدي فلسطين من أرض الوطن، قضية ذات أولوية قصوى لدى الشارع الفلسطيني. إن هذه الحملة تهدف بشكل أساسي لعودة كافة المبعدين الفلسطينيين إلى أرض الوطن بكرامة وعزة.

* رئيسة الحملة الوطنية لعودة مبعدي كنيسة المهد أحياء

تحاول تسليط الضوء على دور نساء الريف الفلسطيني حتى النكبة

رنين جريس*

في هذه المقالة، سأحاول أن أخط تجربتي مع التاريخ الشفوي لنساء الريف الفلسطيني. فالتاريخ الاجتماعي والإنتاجي لنساء الريف الفلسطيني وتجاربهن، قد يكون شبه غائب عن رفوف مكتباتنا العربية وعن سجلات التاريخ، في وقت تركزت فيه معظم دراسات المرأة، حول نساء النخبة ونساء الطبقة الوسطى المتعلمة، وعلى دورهن السياسي والاجتماعي والثقافي على مدار التاريخ الاستعماري، وعبر التحولات المجتمعية الهامة، متجاهلة نوعاً ما المؤسسات المجتمعية غير الرسمية وغير المرئية، وأدوار الطبقات الأخرى والنوع الاجتماعي، وتأثيرها على صيرورة هذا التاريخ.

وبرأيي، فإنه من غير الممكن فهم الاقتصاد الفلسطيني والتاريخ الاجتماعي والثقافي والسياسي ما قبل نكبة فلسطين في العام ١٩٤٨، دون التطرق إلى أدوار النساء عموماً ومنهن نساء الريف. وقد بدأت في الآونة الأخيرة محاولات تعتمد على التاريخ الشفوي أساساً، بدأت بسد هذا النقص، سواء في إعادة كتابة التاريخ من منظور إجتماعي (طبقي) أو من منظور النوع الاجتماعي، حيث تظهر الأدوار التي قامت بها النساء (جاد، ٢٠٠٣). سأحاول هنا التركيز على النشاط الإنتاجي الاقتصادي لنساء الريف، وذلك اعتماداً على مقابلات أجريتها مع بعضهن، يسردن فيها تجاربهن الحياتية ونشاطات عمل الأسرة بشكل عام والنساء بشكل خاص.

ما قبل النكبة

حول النشاط النساء الزراعي، تقول خزنة سمعان وهي مهجرة من قرية سحماتا: «إيد الزلمه والمرا مع بعض، كنا نزرع دخان، قمح وعدس وشعير، كرسنة، حلبة، فول، حمص حتى سمسم. بأيامات زرع الدخان يكون الواحد عنده شوية سمسم، يروح يرشهم بين الارض الخفيفة اللي ما منقدر نزرع فيها دخان. بأيامات قطيفة الدخان، كنا نقطف ونشك الدخان ونعلقه بالمساطيح، بهاي الفتره يصير السمسم، نروح نقلعه، ويطلّع الواحد مونته تنكة سمسم او تنكتين».

وتؤكد مرتا سوسان وهي مهجرة من قرية كفر برعم وتقول: «عنا النسوان بتشتغل مثل الرجال وزياده، عنا ما في كسل، متعودين المرا تشتغل مثل الزلمه، تروح مع جوزها على الأرض وتشتغل، ما حدا بترك أرضه. كنا كمان نروح نحطّب، النسوان كانت تجيب الحطب على رأسها، كل شغلنا كان على النار. النسوان كانت كمان تصنع الطوابين وكوانين النار والمواقد... كنا نتعب كتير».

من خلال المقابلات التي أجريتها مع نساء الريف، لاحظت أن التقسيم الجنسي لنشاطات العمل بين النساء والرجال مرناً نوعا ما، حيث أن هنالك نشاطات عمل كثيرة مشتركة لكليهما، ولا تنحصر على أحد الطرفين كالحراثة، والزراعة، جلب الحطب والماء، بناء البيوت والبيع وغيرها من النشاطات. كما أن التقاسم الحاد الحاصل اليوم بين المجالين الخاص والعام، لم يكن حينها بهذه الصرامة، فقد كان يتميز بالمرونة إلى حد ما وذلك نتيجة للقواسم المشتركة بين هذين المجالين. وتؤكد ميعاري (٢٠٠٥) في دراستها حول أدوار النساء الفلسطينيات الريفيات، ببعديها الثقافي والاقتصادي: «تأتي أهمية المرونة في تقسيم العمل، كونها تظهر حقائق تتحدى الأفكار عن التضاد (الأنثى/ الذكر) وقدرات كل منهما. فتلك الحقائق تثير الجدل حول ميزات النوع الاجتماعي وأدواره ،في هذه الفتره من التاريخ الفلسطيني».

وتحدثنا الحاجة رقية الصانع من مدينة بئر السبع: «النسوان كانت تحصد وتشتغل بالأرض والحلال والبيوت. النساء كانت تتعب أكثر من الرجال، كانت تبني البيت الأسمر، بيوت الشعر، تغزل وبعدين تعمل برامه، بعدين نسيج وبالآخر بتخيط البيت». أما تفاحة ناطور، وهي مهجرة من قرية عمقا، فتحدثنا عن النساء اللبانات وتقول: «كان عنا نسوان لبّانات، اللي كان عنده طرش، معز أو بقر وبده يبيع حليباته، كانت النساء تروّب الحليب وتحمل ع راسها وتروح على عكا تبيع، كنا نطلع من الساعة تنتين بالليل مشي ع إجرينا حتى نوصل مدينة عكا الساعة عشره الصبح، نبيع الألبان والأجبان وبعدها نرجع على عمقا».

وتؤكد تفاحة على استمرار الكثير من النساء في العمل، حتى في فترات الحمل والولادة، وتقول: «اللي عندها حدا كانت تحط الولد عنده، واللي ما عندها حدا، توخذهم ع الحصيدة. كانت النسوان تحمل السراير على روسهم ويروحوا على الحصيدة، ع القمح. يا ما اولاد ماتوا، كانوا يتركوا أولادهم ويلتهو بالحصيدة، وبيجو بعد فتره يلاقوا إشي باخخ عليهم [كالحشرات السامة]. حتى المرا الحبلى كانت تشتغل بالأرض ولما تخلّف تروح ترتاح يوم أو يومين وبعدها تنزل ع الارض، الناس كانت فقيرة وعايشة ع البركة».

تؤكد الأقوال المقتبسة أعلاه، على حرية الحركة والتنقل للنساء، خصوصاً في الأسر التي تعتمد على عمل المرأة في الزراعة. حول هذا الموضوع تشير ميعاري (٢٠٠٥)، إلى صعوبة الحد والسيطرة على حركة النساء، والفصل التام بين الجنسين، بسبب الحاجة الماسة لعمل النساء في الزراعة، وكونها جزء أساسي في العمل الانتاجي.

لم يقتصر نشاط النساء داخل الوحدة الأسرية الإنتاجية فقط، حيث تأثر بالثورات والأحداث المتعاقبة في فلسطين، وفي هذا السياق تشير جاد (٢٠٠٣)، إلى الدور النضالي المقاوم لنساء الريف، الذي تركز على تقوية الثوار وإطالة أمد الثورة المسلحة، كبناء الحواجز، وإمداد المقاتلين في الجبال بالمؤن الغذائية، استكشاف مواقع وتحركات العدو، رشق الحجارة من على أسطح منازلهن، مما أدى في بعض الحالات إلى استشهاد بعض النساء على أيدي الجنود، إضافة للمشاركة في المظاهرات الإحتجاجية والنشاطات العسكرية. لقد كان إعداد الطعام للثوار وجيوش الإنقاذ عملا شاقاً، تذمّرت منه العديد من النساء. وحدثتني عن هذا مرتا سوسان وهي مهجرة من قرية كفر برعم قائلة: «جيش الإنقاذ ما كان ينام عنا، كان ينام بمعسكرات الجيش، بس كانوا يشرطوا علينا كل بيت يعطي حمل حطب [ما يستطيع المرء حملهُ]، وتخبز المرا كمية طحين. كل يوم كنا نخبز ١٥ كيلو خبز، ونجيب حمل حطب، والله أنا وأخوي كنا صغار، أمي كانت مريضة وما تقدر تروح، وإحنا كنا نروح نحطبلهم من الوعر. غصبن عنا، مش بخاطرنا، هيك كانوا يفرضوا علينا». وتقول غوسطا دكور من قرية ترشيحا: «كنا نطبخ للثوار، وكانت النسوان تروح على الجبال توّدي أكل، بس كمان الثوار كانوا ييجيو عنا على البيوت، كل مرّه بختاروا بيت عشان يتغدوا أو يتعشوّا فيه، بتذكر إنه كنّا نحضرلهم كتير أكل».

نكبة فلسطين ١٩٤٨

تتحدث النساء بفخر عن المساعدات الإنسانية التي قدمتها للاجئين، حيث سارعن إلى تأمين المأوى والطعام للمهجرين. وتتحدث نديمة طنوس من قرية المكر في هذا السياق: «لما صارت الحرب أجو عنا على القرية كتير لاجئين من البروة والمنشية، في البداية حضرنالهم الكنيسة والجامع حتى يناموا هناك، وكانت نسوان البلد تلتقي وتحضر أكل للأطفال والكبار. بتذكر أنه كل يوم كنت أحلب البقرات وأعمل ألبان وأجبان ونروح ع الكنيسة عشان نطعمي اللاجئين. نسوان البلد كانت تعجن وتخبز كل يوم وتبعث للكنيسة والجامع، أجو عنا كتير لاجئين وما كنا ملحقين».

وكما كان للمرأه الدور الأساسي في الأعمال المنزلية وتربية الأطفال، نرى بوضوح هذا الدور المسؤول عند التهجير، حيث أخذت المرأة على عاتقها مسؤولية تأمين الطعام والملبس لأسرتها. وفي هذا السياق تحدثنا خزنة سمعان المهجرة من قرية سحماتا: «أنا كنت عم بخبز رقيق وبعدني ما كملت الخبزات، أجت جارتنا، وجابت خمس أرغفة وخبزتهم عنا، قلتلها يا جارتنا بلاهم، قالت لا يا جارتنا، الدنيا فيها موت وحياة، حطتهم بين الخبزات، حست إنه في خطر. قمت عن الخبز، تركت العجين، بعد ما خبزت سبعة أو ثمانية ما بذكر قديش، يمكن عشر أرغفة، وأخذت الخبزات مع الطبق، فتت ع البيت عشان أطول شرشف من الخزانة، ما قدرت أدعس، الدخان كان مثل الغنم مرمي على الأرض من حم الطيارة. بصعوبة دعّست وأخذت شرشف ولفيّت الخبزات، وحملتهم على راسي لفسوطه، عشان بدي اطعمي اخوتي الصغار، كل عمري خايفة على اخوتي. أختي شو عملت، أختي كانت تحب الحياكة، طلعت على السدة، أخذت بطانية وكفتت الحياكة، حياكة المناديل، التنتنه للشلحات، روس المخدات، كفتتها وأخذتها اللي أجا برا ضللو بسحماتا واللي اجا بالبطانية اخذته معها».

وكما أخبرتني غوسطة دكور من قرية ترشيحا: «يا عمي إحنا كنا واعيين، لما أجت الطيارات أجت ع الساعة خمسة الصبح ضربت، هاي الغارة اللي تضرر فيها كتير قمت أركض، عجنت شوي عجين عشان ناخذ خبز معنا، صرت أحط كل رغيفين سوا». وحول الأثمان الباهظة التي دفعتها النساء أثناء أداءها هذا الدور الشاق، حدثتني تفاحة ناطور المهجرة من قرية عمقا: «ياما أولاد ماتت وهي طالعة مع أمهاتها، اللي حاملة ولدين وثلاثة، وحاملة ملابس وأكل وأغراض، كيف بدها تدبر حالها؟، في وحده ناسية ابنها بالسرير وحاملة مخده. بتذكر واحنا طالعين من عمقا، تعبت بالطريق ووقفت، اجت امي وسحبتني بالقوه من شعري». وتضيف تفاحة عن المخاطر اللي واجهتها لتأمين الطعام لعائلتها: «لما تهجّرنا على يركا، كنت أروح لحالي على عمقا عشان أقطف من أرضنا بامية وذرة وكوسا وبندورة، لما طلعنا الأرض كانت مزروعة. وحياة الله، مرة وأنا بعمقا طخ اليهود علي، وأجت الرصاصة بقلب سلة الخضرا. كنا كتير مرات نيجي بالليل ع عمقا عشان نوخذ أغراض من بيوتنا، زيت، سميدة، قمح، رز، سكر، طحين... بس لما يشوفونا اليهود يصيروا يطخوا علينا».

وكما ركزت النساء اهتمامهن بالحفاظ على الوحدة الأسرية في ظل العدوان والتهجير، أخذت الكثير من النساء على عاتقهن إعادة الرجال والأبناء الذين هُجروا أو رحلوا إلى الدول المجاورة، متحديات المخاطر التي قد تواجههنا في الطريق من ألغام وإعتداءات. وحول هذا حدثتني غوسطة دكور من قرية ترشيحا: «كانوا الشباب يخافوا، راحوا إخوتي ع لبنان، راحت خالتي وجابتهم كلهم بليلة وحدة قبل ما يعملوا القسايم (بطاقات الهوية الإسرائيلية)، وقتها كانت النسوان تطلع تجيب الرجال من لبنان، لأنه الرجال كانوا يخافوا يطلعو أحسن ما يطخوهم. كان في وحده إسمها أم ركاد، هاي أم ركاد كانت تروح ع لبنان وتهرب من هناك كل شي، رز... سكر... عرق، وكانت عايشة من هاي الشغلة».

لم يتجمد تراثنا الفلسطيني وثقافتنا الشعبية عند التهجير، بل سارعت النساء الى تأليف الأغاني التراثية وتجنيدها للتعبير عن مشاعر الغربة والفقدان، التي تغلغت الى أبسط تفاصيلهم الحياتية، تاركة جرحاً عميقاً لا يندمل. فقالت لي خزنة سمعان باكية:

«والصبر يا مبتلي والصبر يا أيوب
والصبر جبتو معي حتى ينمحى المكتوب
والصبر جبتو معي من يوم هجرتنا
وحجارة الدار يا يما تبكي يوم فرقتنا
نزل دمعي على خدي وهوّد
ع اللي رحل من سحماتا وما عوّد
يا رايح ع لبنان هي يا معوّد
سلّم ع اهل بلدنا وع الصحاب
رحت صوب سحماتا حتى اسلي همومي
لقيتها خالية ومليانه هموم
سايرتك يا سحماتا وين أهاليك وعمومي
هدوك هاجروا وما منهم حدا
نزل الدمع على خدي غريبة
وتبكي العين على خدي عشانها غريبة
يا ربي لا تموتني غريبة
إلا غير بين أهلي والصحاب
ودمعي يا يما على خدي وحابس
وشبه السيل بالوديان حابس
أمانه يا يما إن متت حطوني بنواعش
واقبروني بالوطن على دروب الحباب».

وعليه أعود لأؤكد أنه لا يمكننا فهم التاريخ الاجتماعي، الاقتصادي والسياسي بجميع أبعاده، بمعزل عن تجارب النساء التي تعتبر مكوناً أساسياً في صناعة التاريخ. ولا يمكننا أيضاً فهم العلاقات والأدوار الجندرية بمعزل عن التطورات السياسية والتأثير الكولونيالي على المنطقة، وهنا تكمن أهمية التاريخ الشفوي كما أشارت ميعاري (٢٠٠٥) في تفكيك القيم السائدة، وإعادة صياغة قيم جديدة تسمح بالتكامل والتوافق بين تجارب النساء والرجال.

---

* رنين جريس ناشطة نسوية ومركزة مشروع التاريخ الشفوي في جمعية زوخروت (ذاكرات) ومقرها في تل أبيب.

نماذج في محو الهوية وا

ورقة عمل قُدمت في مؤتمر الهوية والمواطنة الذي عقده طاقم شؤون المرأة في

تشير مئات الأبحاث والدراسات الى نكبة عام ١٩٤٨ وما جرى بها من تطهير عرقي وتهجير قسري لآلاف الفلسطينيين في البلاد. والبعض منها يشير الى نماذج عينية حول استمرار إسرائيل وحكوماتها المتعاقبة في محو المكان والزمان والطرق التي تتبعها جاهدة هذه الحكومات منذ عام ١٩٤٨ في تشويش الذاكرة، وفرض الذاكرة والرواية اليهودية والصهيونية على أنها الرواية المختارة للشعب المُختار. فالذاكرة الفلسطينية هي العدو الأكبر لإسرائيل وعلينا السعي جاهدين وجاهدين للحفاظ على هذا «العدو» كي لا تأكلنا الضباع.

في هذه المقالة سوف ابتعد عن النص الطويل والتحليل المتّبع والمعهود، لأزود القارئ/ة بنماذج عينية وحيّة عما جرى ويجري في فلسطين التاريخية وبالتحديد في ما يسمى اليوم بأراضي ال-٤٨، فخلافا لفلسطينيي الشتات والضفة والقطاع، نحن الفلسطينيون في الداخل نستطيع الدخول الى معظم قرانا ومدننا المهجرة والعيش بتفاصيل مسيرة تدميرها وتهويدها منذ تطهيرها وحتى يومنا هذا.

مناطق للاستجمام

قامت إسرائيل بعد احتلالها لفلسطين عام ١٩٤٨، وعلى مدار السنين، بتحويل ما يقارب من نصف القرى المهجرة والمدمرة الى مواقع طبيعية ومناطق للاستجمام كالأحراش والحدائق العامه التي زرعتها وطورتها «ككال» (الصندوق القومي اليهودي الذي تأسس عام ١٩٠١)، المحميات الطبيعية والحدائق الوطنية التي تديرها سلطة الطبيعة والحدائق، بالإضافة الى شق مسارات للمشي وللتنزه بين أنقاض هذه القرى والتي أعدتها بالأساس شركة حماية الطبيعة وشركات سياحية خاصة. مساحة قسم من هذه الحدائق والمحميات هو صغير ويشمل قرية واحدة، بينما القسم الأخر منها يشمل أكثر من قرية مدمّرة. بشكل عام لا يوجد أي ذكر للقرى المدمّرة على لافتات هذه المواقع او في النشرات المعلوماتية التي توزع على المتنزهين والمتنزهات، وان ذكرت فهي تذكر بشكل خاطف، سطحي وبسيط والتركيز الأكبر يكون بالأساس على التاريخ اليهودي والصهيوني في المكان. التعامل مع التطهير العرقي لهذه القرى بهذا الشكل ومحاولة تجميلها والاستمتاع بها وتحويلها الى مواقع طبيعية ومناطق للاستجمام ما هو إلا استمرارية واضحة للمشروع الصهيوني الذي بدأ منذ أكثر من مئة عام ومتسمر حتى يومنا هذا.

قرية بيت عطاب- القدس

السوامير حيفا

مدرسة الكويكات تحولت الى ملهى ليلي لشباب وشابات الكيبوتس

المدارس الى ملاهي ليلية

لم تهدم معظم بيوت وبنايات قرانا ومدننا عام ٤٨، حيث تم الحفاظ على بعضها، وخاصة الكبيرة والجميلة منها، لاستعمالها فيما بعد في خدمة المهاجرين اليهود. بعضها تحول الى مكاتب او بيوت سكنية، والبعض الآخر الى مدارس للطلاب اليهود، ومنها من تحول الى بارات وملاهي ليلية لخدمة شباب وشابات الكبيوتس أو المستوطنة اليهودية التي أقيمت فيما بعد.

مدرسة الكويكات، هي نموذج هام يعكس لنا البعض من أساليب تطهير وتهويد المكان. الكويكات هي قرية صغيرة في الجليل الأسفل، هي قرية جفرا النشيد وجفرا الفتاه التي غناها وبكاها ابن عمها بعد أن هجرته وتزوجت من غيره. وكغيرها من القرى هجّر أهلها الى المناطق المجاورة والى لبنان وبني على أنقاضها مباشرة كيبوتس بيت هعيمق. ما تبقى اليوم من الكويكات هي بعض البيوت المنسية ورائحة المكان. قرية الرأس الاحمر الجليلية، هي نموذج أخر لتدمير وتغيير معالم المكان، هي قرية جليلة أخرى تم تطهيرها وتهجير سكانها ومن ثم توطينها باليهود الأتراك والمغاربة خلال اشهر قليلة من نزوح أهلها لتتحول الى مستعمرة كيرم بن زمرا. لم يبق من أهلها في فلسطين سوى رجل مسن، حيث نزح جميع أهلها الى لبنان ومعظمهم يسكن اليوم في مخيم عين الحلوة. بعد التهجير مباشرة تم استعمال المدرسة كمدرسة للطلاب اليهود المهاجرين على مدار سنين طويلة الى أن بنوا لهم مؤخرا مدارسهم الخاصة والمتطورة.

مدرسة الرأس الأحمر- اليوم هي مبنى مهجور.

الأماكن المقدسة والمقابر

تعتبر الحريات الدينية احد أهم مركبات الحقوق المدنية، إضافة لكونها احد ركائز الحقوق الثقافية وشكلا أساسيا من أشكال تطبيقها، وذلك لارتباط هذه الحريات والحقوق بالتراث والثقافة والهوية الفردية والجماعية للمواطنين في أي دولة كانت. ويكتسب هذا الموضوع أهمية خاصة عندما نتحدث عن تدنيس وتدمير وتهويد الأماكن المقدسة الفلسطينية بعد عام النكبة منع الفلسطينيين داخل إسرائيل من ممارسة حياتهم الدينية بما في ذلك الحق في الوصول الى الإمكان المقدسة، والحق في حمايتها وصيانتها وتطويرها، هذا علاوة على الجانب المتعلق بالمساس بمشاعر الإنسان الأساسية وبكرامته من خلال المساس بمقدساته بما في ذلك أماكن العبادة والمقابر التي تشكل إحدى روابط المجتمع بأرضه وماضيه ومستقبله.

تواجدت في فلسطين قبل عام النكبة ما يقارب خمسة آلاف موقع مقدس، منها المقامات، المزارات، الأضرحة، المقابر المساجد والكنائس. وبناء على تقرير أصدرته الجمعية العربية لحقوق الإنسان في الناصرة عام ٢٠٠٤، تم تدمير او إقفال ما يقارب ال-٢٤٩ مسجدا وكنسية من قبل الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة. هذا على الرغم من ان إسرائيل كانت قد وقعت وصادقت على العديد من المعاهدات الدولية التي تنص على احترام حرية العبادة بما فيها ممارسة الشعائر الدينية وصيانة أماكن العبادة ومنع تدنسيها وتشمل هذه المعاهدات

فندق الهلتون في تل ابيب مبني على أنقاض قسم من مقبرة عبد النبي التابعة لمدينة يافا

مسجد قرية المجدل تم تحويله الى مقاهي ومتحف للجيش الإسرائيلي

كنسية البصة – محاولات عديدة من قبل السكان اليهود لهدمها وتدنسيها

الدولية «الإعلان العالمي لحقوق الإنسان» و «المعاهدات الدولية للحقوق المدنية والسياسية» و «إعلان الأمم المتحدة عن جميع إشكال التفرقة وعدم التسامح» و «إعلان الأمم المتحدة حول الأشخاص المنتمين الى أقليات عرقية أو دينية أو لغوية» وغيرها من المعاهدات.

تحيي الدولة إسرائيل والجاليات اليهودية في كافة أنحاء العالم ذكرى الكارثة اليهودية وتطهير آلاف اليهود عرقيا على يد النازية أثناء الحرب العالمية الثانية، ولهذا الهدف أقيمت عشرات المتاحف والأرشيفات الهادفة الى توثيق الكارثة مستعملة كافة أشكال وأنواع التكنولوجيا بهدف أرشفة الذاكرة والتاريخ والحفاظ عليه في ذاكرة الأجيال القادمة.

متحف محاربي الجيتوهات (لوحامي هجيطائوت) هو من أهم وأول المتاحف الإسرائيلية، أسس عام ١٩٤٩ على يد بعض اليهود الناجين من النازية، وهو يحوي على شهادات، صور، أفلام عن اليهود في القرن العشرين عامة

لمكان

عدة محافظات في الوطن

رنين جريس

«المركز ينطلق من الفكرة أنَّ تداول موضوع الكارثة من شأنه أن يقود إلى تذويت أهمية القيم الإنسانية والديمقراطية واكتساب آليات لاتخاذ موقف أخلاقي والتحلّي بمواطَنَة مسؤولة؛ وأنّ اللامبالاة لمعاناة الآخر أو المسِّ بحقوق الإنسان تهدّد كيان كل مجتمع، أينما كان وفي كل الأزمنة». (عن موقع المتحف)

وعن كارثة اليهود خاصة. هذا المتحف هو أول متحف في العالم يحكي قصة الكارثة والوحيد الذي أقيم على يد الناجين. بجانب المتحف أقيم مركز الإنسانية (humanity center) بهدف خلق حوار متعدد الثقافات والحضارات حول الكارثة وأهميتها والتعلم عنها.

ما لم تذكره «الإنسانية» الإسرائيلية هو ان كيبوتس محاربي الجيتوهات والمتحف –بداخله، بنيا على أراض قرية السميرية المدمرّة التي احتلت على أيدي قوات الهاجاناه وتم تفجير بيوتها مباشرة بعد الاحتلال بسبب محاولات أهل القرية في العودة اليها.

من حي الى عشب أخضر – حي المنشية كنموذج

بني حي المنشية في آخر سنوات السبعين من القرن التاسع عشر، على شاطيء البحر، وأصبح أحد أكبر الأحياء العربية في يافا. وبحسب تقرير محطة الشرطة في الحيّ، سكن في المنشية عام ١٩٤٤ حوالي ١٢ ألف فلسطيني وامتدت أرضه على مساحة ٢٤٠٠ دونم. اعتبر الحي من أكثر أحياء يافا ازدهاراً وتطوراً واعتاش معظم أهله من التجارة والصناعة والأعمال الخاصة. مع احتلال يافا والمنشية في نسيان وأيار عام ١٩٤٨، تحولت المنشية إلى حقل تجارب للهندسة المعمارية الإسرائيلية ونقلت إلى الملكية العامة. في سنوات ال ٥٠ بدأت تنسج مخططات حول مستقبل مسطح الحيّ. كان ابرز هذه المشاريع هو المشروع الذي قدمته شركة حكومية– بلدية اسمها «احوزوت هحوف» (ضيع الشاطيء) عام ١٩٦٣، حيث اتخذ قرار ببدء البناء في المنشية وتحويلها إلى مركز تجاري عصري. شملت الخطة مباني عامة وإدارية، منطقة تجارة وتسوّق، أبراج للمكاتب وآلاف الوحدات السكنية، مواقف للسيارات، فنادق ومرافق ترفيهية، مع استغلال أقصى لشاطيء البحر من أجل راحة الجمهور.

مع نهاية سنوات الستين تُوّج المشروع بمتنزه على اسم تشارلز كلور، متبرع يهودي بريطاني، حيث أقيم المتنزه على الجزء الأساسي للحيّ وصُمم على شكل «كثبان رملية» تغطي ركام الحي الذي جمّع على شاطئ البحر. وكما تعمل الصهيونية، التي تحيي القفر، تم تغطية الكثبان بالعشب وأصبحت خضراء اللون. كما هو الحال في أماكن أخرى في يافا، فإن مشروع المنشية يمثل مشوار التدمير الذي بدأ بهجوم على الحي، ما زال مستمراً حتى اليوم، وبالذات تحت عنوان «تخطيط» و«تطوير».

قانون النكبة في ظل احيائها

يعيش اليوم في الداخل الفلسطيني ما يقارب المليون ونصف مليون فلسطيني، عاشوا ويعيشون في ظل حكم عسكري لم ينته منذ عام ٦٧ وإنما اتخذ له فيما بعد أشكالا وأنماطا تتلاءم مع العصر الحديث وتقنياته. من بين هؤلاء هنالك ٣٠٠ ألف مهجر ومهجرة يقطنون بمعظمهم بضع كيلومترات من قراهم ومدنهم المهجرّة في الجليل الأسفل والأعلى.

هؤلاء تم إقصائهم من القانون الدولي، ومن المفاوضات على مراحلها العمرية المختلفة، وسنت قوانين عديدة تشرع وتؤخر عودتهم الى ممتلكاتهم والى الديار. راهنت إسرائيل على فقدانهم للذاكرة وعملت جاهده على ذلك، لكنها خسرت الرهان واليوم نرى عشرات الحركات الشبابية لهذه القرى في الداخل الفلسطيني يعملون جاهدين لإحياء ذكرى قراهم ومدنهم والعمل من اجل العودة اليها، منهم على سبيل المثال، اقرث، برعم، سحماتا، ترشيحا، الهوشه والكساير، المالحه، الدامون، سبلان، عمقا، البصة، صفوريه، عكا وغيرها من القرى والمدن.

يعتبر اقتراح قانون النكبة والذي أقرّت عليه الهيئة العامة للكنيست بالقراءة الأولى، من أحدث وآخر الوسائل التي تبنتها الحكومة الإسرائيلية لمحو ذاكرة المكان والزمان . وهو ينص على «خصم مبالغ معينة من ميزانيات أي جسم يتلقى دعماً من ميزانية الدولة إذا صرف هذا الجسم من ميزانيته لتمويل أي نشاط يتضمن: ١. نفي وجود إسرائيل كدولة يهودية، ٢. التحريض على العنصرية، العنف أو الإرهاب، ٣. تأييد كفاح مسلح أو نشاط مسلح لدولة عدو أو منظمة إرهابية ضد دولة إسرائيل، ٤. إحياء يوم الاستقلال أو يوم إقامة الدولة كيوم حداد، ٥. تشويه أو تحقير مادي لعلم الدولة أو شعارها». باعتقادي، هذا الاقتراح هو شهادة يفتخر بها فلسطينيو الداخل وخاصة المؤسسات المجتمعية والمدنية، فهو برهان واضح على حفاظها على الهوية وتمسكها بالثوابت الفلسطينية، وأيضا على عملها الدؤوب لتطوير برامج ومشاريع متنوعة تهدف بشكل مباشرة أو غير مباشر على بلورة الهوية الثقافية الفلسطينية وتعزيزها وفضح سياسات الدولة ونظامها العنصري. وان ردود الفعل الإسرائيلية من هدم بيوت ومصادرة أراضي وتغذية نظام الفصل العنصري ما هي إلا ردود فعل طبيعية لصاحب السلطة والمهيمن، بهدف إحباط المضطهدين والحد من عزيمتهم، وكلما قست علينا هذه الردود كلما اقتربنا من البداية.

مسيرة العودة الى قرية صفورية (٢٠٠٨)

مخيم العودة السنوي الى قرية برعم (٢٠٠٩)

قرار الترحيل ١٦٥٠ في عيون نساء غزة...

توتر وقلق دائمين على مصير مجهول العواقب ينتظر أبنائهن

غزة- فايز أبوعون

منذ اللحظات الأولى التي سمعت فيها المواطنة أم وسيم، من سكان مشروع بيت لاهيا في محافظة شمال قطاع غزة، بالأمر العسكري الإسرائيلي رقم ١٦٥٠، ودخوله حيز التنفيذ، حتى وقفت مشدودة الأعصاب، مرتعدة الفرائص، ضاربةً كفاً بكف وهي تتساءل، ماذا عسانا أن نفعل فيما لو أبعدت قوات الاحتلال فلذة كبدي «وسيم»، الذي يقطن الآن كغيره الآلاف ممن وجدوا طريقهم للهرب من غزة وجحيمها، أثناء وقوع أحداث منتصف حزيران ٢٠٠٧، حين سيطرت حماس بقوة السلاح على القطاع؟.

أم وسيم التي لا تفارق سماعة الهاتف، وهي تطمئن على ابنها وزوجته، التي لحقت به فيما بعد، إلا للضرورة القصوى، أصبحت لا تكل ولا تمل من تقديم النصح والمشورة له، فتارة تطلب منه السفر للخارج وإكمال تعليمه والبحث عن عمل هناك، وتارة أخرى ترجوه أن يحد من حركة تنقله بين المدن والقرى الفلسطينية في الضفة، وأن لا يقترب من الحواجز العسكرية الإسرائيلية البتة، حتى لا يكون عرضة للاعتقال والطرد إلى غزة. حال أم وسيم هذا، كحال المئات من النسوة، اللاتي لم يستطعن حتى طبع قبلة الوداع على جبين أبنائهن، كونهم غادروا القطاع على عجل من أمرهم، سيما وأنهم كانوا إما في أماكن عملهم التي تمت السيطرة عليها، أو عند أقارب لهم في مناطق بعيدة عن مكان سكناهم، موضحة، أنه ربما كانت هي أكثر حظاً من غيرها، كونها استطاعت مغادرة القطاع لمرة واحدة، والسفر إلى القاهرة ومن ثم على عمان، والالتقاء معه هناك لمدة عشرة أيام، سرعان ما انقضت كسرعة البرق، لتعود هي إلى غزة المحاصرة، ويرجع هو إلى رام الله.

وأضافت إن أحلاماً مزعجة، وكوابيس مخيفة تلاحقها في صحوها ونومها، جعلتها شاردة الذهن، مشتتة الأفكار، متضرعة إلى الله أن يسود السلام، ويعم الوئام، وتحدث المصالحة، وتعود اللحمة لشقي الوطن، وتترسخ الوحدة الوطنية على أرض الواقع فعلاً، وليس قولاً كما في السابق.

وكثيراً هم الذين وجدوا إما معبر رفح الحدودي مع مصر، أو معبر بيت حانون «ايرز» مع إسرائيل، طريقاً لهم للهروب من ما وصفوه بجحيم غزة، خوفاً على حياتهم، واستقر بهم الحال في الضفة الغربية، موزعين على معظم محافظاتها، في انتظار عودة مأمونة العواقب، في ظل مصالحة فلسطينية فلسطينية، يتناسى فيها الجميع خلافاتهم الداخلية، وما خلفت من مآسي لكافة الأطراف، لا عودة قسرية بقرار عسكري إسرائيلي، تكون نتائجه ربما وخيمة على بعض ممن شاركوا، أو كان لهم ضلعاً من قريب أو من بعيد، بأحداث العنف التي راح ضحيتها المئات ما بين قتيل وجريح، من طرفي النزاع «فتح» و«حماس» بشكل خاص، والمواطنين المسالمين بشكل عام.

وما ترحيل الأسير أحمد سعيد صبَّاح، من بلدة ذنابة شرق طولكرم، إلى غزة في الحادي والعشرين من نيسان الماضي، بعد اعتقال دام عشرة أعوام في سجون الاحتلال، ومثله الشاب فادي عيادة العزازمة، ١٩ عاماً، الذي يقيم مع أسرته في مدينة الخليل منذ ١٥ عاماً، وقبلهما المواطن ناصر الجاروشة من مدينة بئر السبع، وبعدهما المواطن صابر البياري ٢٦ عاماً من مواليد مدينة غزة، ومقيم في مدينة يافا منذ ١٥ عاماً إلى قطاع غزة، والذين أقاموا خيمة اعتصام على حاجز ايرز، وما زالوا يعيشون فيها منذ ترحيلهم وحتى الآن، إلا تطبيقاً للقرار العنصري الإسرائيلي رقم ١٦٥٠. المشهد الفلسطيني ومنذ أن صدر الأمر العسكري ١٦٥٠، ما زال في حالة من التوتر والقلق وعدم الاستقرار، سيما وأن إسرائيل لم تنتظر طويلاً، بل بدأت بتنفيذه، ليس على سكان الضفة من حملة هوية غزة، بل وأيضاً على سكان الأراضي المحتلة عام ٤٨، سواء أكانوا رجالاً أم نساءً. النائبة عن حركة فتح في المجلس التشريعي نعيمة الشيخ خليل، قالت: «القرار خرق فاضح لاتفاقية أوسلو، التي تنص على حق جميع الفلسطينيين في أن يعيشوا في مناطق «أ»، وأن يتنقلوا فيها بحرية، كما أن القرار تعد على المواطنة والهوية الفلسطينية، وهو قرار مناف لكل الأعراف والمواثيق الدولية وحقوق الإنسان». وعبرت الشيخ خليل لصوت النساء، عن تخوفها من امتداد القرار، ليشمل في المستقبل منع سكان الخليل من دخول رام الله أو نابلس، أو منع المتضامنين من الوصول إلى الضفة واعتبارهم متسللين، وبالتالي يسهل على إسرائيل العنصرية الاستفراد بالشعب الفلسطيني وفرض سياسة القتل والاجتياح والاستيطان، بوتيرة أكبر من ذي قبل.

بدورها، أوضحت النائبة عن حركة فتح من غزة نجاة الأسطل، أن هذا القرار يأتي ضمن سياسة إسرائيل العنصرية، القاضية بتهجير الفلسطينيين وزعزعة استقرارهم أينما وجدوا، وذلك تمهيداً للحيلولة دون قيامهم بالإعلان عن دولة فلسطينية، وكيان فلسطيني مستقل، كما أنه نوع من الضغط على السلطة الفلسطينية، للقبول بأي إملاءات إسرائيلية مهما كانت مجحفة بثوابت الشعب الفلسطيني الوطنية.

وقالت إن كثيراً من المواطنين الغزيين، اتخذوا قراراً بالحد من حركتهم على الحواجز، حتى لا يكونوا عرضة للاعتقال والطرد، وهذا بحد ذاته بمثابة حصار جديد، يفرض على حملة هوية غزة، ويشكل لهم عائقاً اقتصادياً واجتماعياً، حيث سيمنع عليهم التواصل مع جامعاتهم ومؤسساتهم التي يعملون لديها.

وشرح عريقات في رسائله أن الأوامر العسكرية الإسرائيلية الجديدةن استندت إلى التعديل العسكري رقم ٢، والتعديل العسكري رقم١٢، بحيث أصبح القرار الجديد يتيح لسلطات الاحتلال الإسرائيلي، إبعاد أي شخص، يعيش في المناطق التي تعتبر حسب الاتفاقات تحت ولاية السلطة الفلسطينية.

ويُذكر أن تعريف الفلسطيني الذي عنوانه غزة كمتسلل إلى الضفة الغربية، يستحق العقاب على ذلك، حسب الأمر العسكري ١٦٥٠، إلا حلقة أخرى في سلسلة الحلقات والخطوات التي اتخذتها إسرائيل، وأدت من خلالها إلى فصل قطاع غزة عن عموم المجتمع الفلسطيني.

دراسة واقع النساء في محافظة طولكرم

خطوة متقدمة لتوجيه الخدمات المقدمة للنساء

نبيل دويكات

ينتشر العنف ضد المرأة في كل مكان تقريباً: في البيت، الشارع، النوادي، الأصدقاء، العمل، المدارس، الجامعات. وتعود أسباب العنف كما تراه النساء والمؤسسات في محافظة طولكرم إلى: أسباب سياسية (مثلاً: الاحتلال، التغيير السياسي في المجتمع، التأخير في تعديل القوانين ذات العلاقة، وخاصة قانون الأحوال الشخصية)، أسباب اقتصادية (الركود والوضع الاقتصادي السيئ)، أسباب اجتماعية (أمثلة: عدم وجود مراكز ترفيهية أو تثقيفية للنساء والأطفال، الموروثات والعادات والتقاليد، عدم وجود الأب)، أسباب نفسية (أمثلة: ضغوط نفسية، العنف، الإهمال)، وغير ذلك: (أمثلة: القصور في عمل المؤسسات الأهلية المعنية بالعنف الأسري).

ظهرت هذه النتائج في تقرير أصدره مركز المرأة للارشاد القانوني والاجتماعي. وعكس نتائج دراسة مسحية قام بها المركز حول واقع النساء في محافظة طولكرم. جاء التقرير تحت عنوان «واقع النساء في محافظة طولكرم.. الخدمات الاساسية، المشكلات، ووسائل الدعم من وجهة نظر النساء الفلسطينيات». وشملت الدراسة المسحية استطلاع آراء (١٢١) امرأة، و(٣٠) مؤسسة قاعدية تعمل في المحافظة.

أهداف الدراسة

هدفت الدراسة إلى التعرف على واقع الخدمات الصحية والاجتماعية والقانونية المقدمة للنساء في المحافظة، وتوفير قاعدة بيانات للمؤسسات المختلفة العاملة في محافظة طولكرم، بالإضافة إلى توفير توصيات لبناء وإعداد برامج ونشاطات مركز المرأة في المحافظة. في إطار سعي المركز من أجل الارتقاء المستمر بالواقع الاجتماعي والقانوني للمرأة وتعزيز دورها الإيجابي في عملية بناء المجتمع وتنميته، عبر توفير الخدمات القانونية والاجتماعية للمرأة.

يذكر أن مركز المرأة، وفي اطار برنامج بناء قدرات المؤسسات النسوية القاعدية، يعمل منذ العام ٢٠٠٧ على تطوير شراكة مع مؤسسة النجدة في محافظة طولكرم، بهدف إيجاد عنوان رئيسي للنساء في المحافظة، ويمكن أن يقدم الخدمات القانونية والاجتماعية، خاصةً، وفي ضوء عدم توفر هذا النوع من الخدمات في المنطقة. وقد هدف التقرير إلى التعرف عن قرب على توجهات النساء والمؤسسات المحلية نحو الخدمات الاجتماعية والقانونية، وآليات الدعم والمساندة المطلوبة لخدمة النساء في المنطقة، وذلك تماشياً مع نوعية وحجم المشكلات التي تتعرض لها النساء. ومن المتوقع أن يخدم هذا التقرير جمعية النجدة في تصويب برامجها واستراتيجياتها في العمل، تماشياً مع توصيات التقرير، كما يمكن لمركز المرأة الاستناد إلى توصيات التقرير في العمل مع جمعية النجدة.

أشارت أبرز نتائج الدراسة، إلى أن هناك نسبة مرتفعة من النساء والمؤسسات القاعدية، تقر بوجود عنف ضد المرأة في محافظة طولكرم. حيث بين التقرير أن نسبة ٨٦,٧٪ من النساء و٨٩,٧٪ من المؤسسات القاعدية في المحافظة، تعتقد أن هناك عنف ضد المرأة. وأظهر التقرير أن العنف هو أبرز المشاكل الاجتماعية في جميع أماكن تواجد النساء، سواء داخل المنزل أو خارجه، وكذلك سطوة الأعراف والتقاليد الاجتماعية، التي تبرر للرجال ما يفعلونه، وهذا التبرير لا يقتصر على الرجال في المجتمع الفلسطيني فقط. أما المشاكل القانونية، فأبرزها تمييز القوانين ضد النساء، خاصة قانون العقوبات الأردني ومشروع قانون العقوبات الفلسطيني.

أشار التقرير أيضاً إلى النقص الواضح في الدعم المقدم للنساء، في حالة مواجهتهن مشكلات قانونية. فقد أشارت (٥٩,٥٪) من النساء المبحوثات، بأنهن لا يجدن الدعم في حال مواجهتهن مشاكل قانونية، وفقط ربع النساء المبحوثات (٢٦,٤٪) أعربن عن وجود ذلك الدعم. وقد أعربت النساء عن حاجتهن الماسة لمثل هذا الدعم، (٨٣,٣٪ من النساء اللواتي أفدن بعدم تلقيهن دعم، أعربن عن حاجتهن إلى هذا الدعم). وفي حالة مواجهة المشاكل الاجتماعية أو الأسرية، فقد ذكرت غالبية النساء (٥٥,٤٪) بأنهن يجدن الدعم، وفقط ثلث

النساء المبحوثات أعربن عن وجود ذلك الدعم، رغم أن النساء بحاجة ماسة الى مثل هذا الدعم (٨٠,٥٪) من النساء اللواتي أفدن بعدم تلقيهن دعم أعربن عن حاجتهن الى هذا الدعم).

كسر حلقة العنف

جمعية النجدة الاجتماعية لتنمية المرأة الفلسطينية، وهي جمعية نسوية، تعمل من أجل تطوير وتدريب وتوعية المرأة في محافظة طولكرم، من خلال الخدمات القانونية والإجتماعية والصحية دون تمييز. ترى أن الهدف الرئيسي الذي تعمل من أجل تحقيقه هو المساهمة في الحد من العنف ضد المرأة. وأشارت إلى أن أهمية هذه الدراسة، تكمن في أنها تساعد الجمعية في عدة جوانب ومجالات أهمها:

- توفير قاعدة بيانات، تمكن من وضع الخطط الاستراتيجية، وتحديد البرامج التشغيلية للجمعية وتحديد أولويات العمل.
- تعزيز علاقات الجمعية مع المجتمع المحلي ومؤسساته المختلفة، وإيجاد الآليات المناسبة للتصدي للعنف والتمييز ضد المرأة.
- المساهمة في حملات التوعية حول ظاهرة العنف ضد المرأة للمجتمع المحلي عامة، وللنساء بشكل خاص.

أما حول كيفية تعامل الجمعية مع النتائج التي خلصت إليها الدراسة، فتشير ندى طوير رئيسة الجمعية، إلى أن الجمعية ستعمل، وبالشراكة مع مركز المرأة للإرشاد القانوني والاجتماعي، من أجل تطوير وتعزيز إمكانيات الجمعية المختلفة، وبما يمكنها من توسيع وتطوير الخدمات القانونية والاجتماعية التي تقدمها للنساء في المحافظة، والاستفادة من الخبرة التي راكمها مركز المرأة في هذا المجال. والعمل على التخفيف من حدة العنف الذي تعاني منه النساء. كما أن الجمعية ستعمل على توسيع نطاق الخدمات التي تقدمها، لتشمل الأماكن البعيدة والنائية في المحافظة.

عبد الرازق غزال، منسق برنامج التدريب في مركز المرأة، والمشرف على الدراسة، رأى أن النتائج والتوصيات التي خلص إليها التقرير، تؤكد الحاجة الماسة إلي تطوير برامج وتركيز أولويات العمل في الخدمة الاجتماعية والقانونية للنساء في المحافظة، وذلك نظراً لضعف آليات الدعم والمساندة للنساء، اللواتي يواجهن العنف، ولا يلقين الحماية والدعم اللازم. ومن جهة أخرى سيخدم هذا التقرير مركز المرأة بالشراكة والتعاون مع جمعية النجدة، في تفعيل برامج التوعية والتمكين والحماية للنساء، وذلك تماشياً مع توقعات وتوصيات النساء والمؤسسات التي شاركت في الدراسة.

يذكر أن الاستفادة من نتائج وتوصيات الدراسة، ليست حكراً على مركز المرأة أو جمعية النجدة. بل إنه يمكن لكل المؤسسات والهيئات المعنية، الاستناد إلى الدراسة من أجل تطوير وتوسيع برامجها ومشاريعها، وتوجيه الخدمات التي تقدمها لنساء المحافظة، وبما يسهم في تعزيز مكانة المرأة، وكسر حلقة العنف والتمييز ضدها في مختلف المجالات.

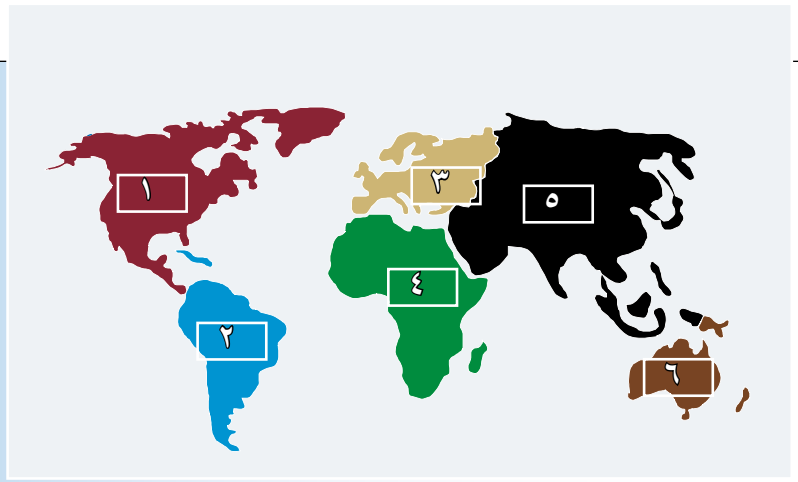

نساء وأخبار

الرئيس يعين فريال عبد الرحمن مستشاراً في الرئاسة

فلسطين: أصدر الرئيس محمود عباس، قراراً بتعيين السيدة فريال عبد الرحمن، مستشاراً في الرئاسة، اعتباراً من الأول من الشهر الحالي.

جاء في القرار: تعين فريال كامل عبد الرحمن سالم، مستشاراً في الرئاسة، وتبقى بنفس وضعها الوظيفي والمالي المعتمد قبل هذا القرار. وعلى الجهات المختصة كافة، كل فيما يخصه، تنفيذ أحكام هذا القرار، ويعمل به من تاريخ صدوره، وينشر في الجريدة الرسمية.

وفريال عبد الرحمن ممثلة فلسطين في منظمة المرأة العربية، وعضو الأمانة العامة للاتحاد العام للمرأة الفلسطينية.

ناشطة سلام فلسطينية تفوز بجائزة «آنا ليند» ٢٠١٠

السويد: فازت ناشطة السلام الفلسطينية جين زرو، بجائزة «آنا ليند» للعام ٢٠١٠، وذلك عن عملها المستمر في نشر النشاطات اللاعنفية، فيما يخص الصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

الناشطة زرو (٧٠ عاماً)، ولدت لأسرة مسيحية في مدينة رام الله، وهي إحدى مؤسسات جمعية «سبيل»، ومسؤولة طائفة (الكويكرز)، وخبيرة استشارية دولية بشأن قضايا السلام والعدالة، وشغلت منصب عضو في المجلس الدولي للمؤتمر العالمي للدين والسلام، وعملت مدرسة للقيم الأخلاقية وتاريخ الأديان، وكتبت العديد من الكتب حول اللاعنف.

وشغلت منصب رئيسة جمعية الشابات المسيحيات في القدس، وعضو في المجلس الوطني للجمعية في للأردن وفلسطين، وكانت نائب رئيس جمعية الشابات المسيحية العالمية، وآخر كتاب لها «المحتلة مع اللاعنف»، والمرأة الفلسطينية تتحدث، (حصن الصحافة، ٢٠٠٨).

وهي مؤلفة «حياة المسيحيين الفلسطينيين»، «الإيمان والنضال والتغلب على العنف المنظم»، «الحقيقة وصنع السلام في التجربة الفلسطينية»، وشقيقة الشهيد د. حنا ميخائيل «أبو عمر».

د. ميخائيل من مواليد مدينة رام الله، ونال الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة هارفارد في الولايات المتحدة، وعمل في جامعتي برنستون وواشنطن، وانضم للثورة الفلسطينية ١٩٦٩ وعمل في مركز الأبحاث الفلسطيني وفي مركز التخطيط الفلسطيني، ترك العديد من الكتابات عن العمل الثوري والقضية الفلسطينية وفي أوج الحرب الأهلية في لبنان، وبتاريخ ٢٠-٧-١٩٧٦ فقد مع تسعة من كوادر المقاومة.

وصرحت مؤسسة أنا ليند، أن زرو منحت هذه الجائزة للعمل الدؤوب لبناء ثقافة السلام الحقيقي، ولفت الانتباه إلى حق جميع الناس في حياة شريفة ونزيهة.

وتأسست جائزة «آنا ليند»، تيمنا بوزيرة الخارجية السويدية أنا ليند، التي طعنت حتى الموت عام ٢٠٠٣، حيث تدعم من يعزز ثقافة السلام واللاعنف في العالم. ومن المقرر أن تتسلم الناشطة زرو الجائزة باحتفال رسمي في العاشر من الشهر الحالي، وستحصل على مبلغ ١٥٠ ألف كرونر سويدي، أي ما يعادل ١٩الف دولار أميركي.

السجن مدى الحياة لزوج اغتصب زوجته ليلة الدخلة

تونس: قضت محكمة تونسية، بسجن تونسي مدى الحياة، بتهمة اغتصاب زوجته ليلة الدخلة، وذلك في سابقة هي الأولى من نوعها في تونس

وذكرت صحيفة «الصباح» التونسية المستقلة، أن الدائرة الجنائية في المحكمة الإبتدائية في تونس، قضت بسجن الزوج بقية العمر، من أجل تهم «مواقعة أنثى غصباً، والإعتداء بالفاحشة على أنثى دون رضاها، والقذف العلني، والإعتداء على الأخلاق الحميدة، والتهديد بما يوجب عقاباً جنائياً».

وأوضحت أن هذه القضية بدأت، عندما تقدمت زوجة إلى أحد مراكز الأمن، ورفعت شكوى ضد زوجها، إتهمته فيها بإطلاق العنان لشذوذه ليلة الدخلة، حيث عمد إلى اغتصابها بوحشية، والإعتداء عليها بالفاحشة، إلى جانب إحراق جسدها بالسجائر.

ولم يكتف العريس بذلك، بل ختم ليلة دخلته بأن إلتقط صوراً لزوجته وهي عارية، قبل مغادرته غرفة الفندق الذي اختاره لتلك الليلة، عندها سارعت العروس إلى الاتصال هاتفياً بشقيقها، الذي سارع إليها، فوجدها في حالة سيئة، عندها نقلها إلى أقرب مستشفى، حيث ذكر الطبيب الذي عاينها في تقريره، أنها تعاني من نزيف حاد، كما أن حالتها تستوجب عرضها على طبيب نفسي.

وكانت هذه العروس سيئة الحظ، قد تعرفت على زوجها عبر شبكة الأنترنت، وهو تونسي يقيم في ألمانيا، حيث توطدت علاقاتهما إلى أن عاد إلى تونس، حيث عقد قرانهما بسرعة، ما حال دون اكتشافها لطباعة العنيفة.

سجن ثري سعودي ١٠ سنوات لزواجه من قاصر

مصر: قضت محكمة جنايات شمال الجيزة جنوب القاهرة الخميس ٢٠-٥-٢٠١٠، بالسجن المشدد ١٠ سنوات غيابياً وغرامة مالية قدرها ١٠٠ ألف جنيه مصري، ضد سعودي (٨٢ عاماً)، لإدانته بالزواج من فتاة مصرية قاصر. وأمرت المحكمة أيضاً بالسجن المشدد ١٠ سنوات وغرامة ١٠٠ ألف جنيه، ضد السمسارة التي أشرفت على الزواج، وتعمل على تزويج القاصرات لأثرياء عرب.

وفي نفس القضية، قضت المحكمة بسجن والدي الطفلة التي تم تزويجها، بالسجن عاماً مع إيقاف التنفيذ وتغريمهما ٥٠ ألف جنيه. كما أقرت المحكمة سجن المحامي، الذي عقد قران السعودي على الفتاة القاصر عرفياً في مكتبه، لمدة عامين مع الشغل.

ويعد هذا الحكم هو الأول من نوعه في قضايا زواج القاصرات في مصر، تنفيذاً لقانون الطفل الجديد. وترجع أحداث القضية إلى نهاية عام ٢٠٠٨، وذلك عندما حضرت السمسارة إلى والديّ الضحية، وعرضت عليهما زواج ابنتهما مقابل المال فوافقا. ومن ثم اصطحبت الفتاة ومعها فتيات أخريات عرضتهن على الثري السعودي، فاختار فتاة قاصراً، وتم تزويجهما بعقد زواج عرفي لإضفاء الصفة الشرعية على الزواج.

واعترفت الفتاة في أحد البرامج التلفيزيونية المصرية، أن الثري السعودي مارس ضدها العنف، وحاول إرغامها على أفعال شاذة، إلا أنها رفضت. ووجهت النيابة العامة المصرية إلى المتهمين تهمة تسهيل الدعارة، ومواقعة قاصر بدون قوة، وتم إحالتهم إلى محكمة الجنايات التي أصدرت حكمها السالف. واعترفت الفتاة بالواقعة أمام النيابة، كما اعترف والديها تفصيلياً بارتكاب الواقعة، مقابل الحصول على مبالغ مالية للمتهمين وصلت إلى ١٤ ألف جنيه.

ابتسام جلامنة... خطوات صلبة على طريق الحياة

سامية حمارشة

لم أكن أعرفها من قبل، وفي مجموع اللقاءات التي جمعتني بها، بدت لي هادئة متماسكة قليلة الكلام، وأن ملامحها لا تشي بأوجاع ثقال، تعلو وجهها الأسمر مسحة تجللها بإكبار واحترام، ومقتطف الحديث الذي كان يدور حولها كان يعلن عن تميز يشدو بسمو اسمها.

وفي مقام آخر كانت تبدو لوحة جميلة من العنفوان وحب الحياة وليونة الظل والإقبال، فإذا هي الابتسام الذي ينير ظلمة الليل والنهار على السواء.

ابتسام محمد يوسف جلامنة، مواليد فلسطين عام ١٩٦٣ سكان الأردن سابقاً، وحالياً تسكن مدينة جنين في مرج ابن عامر.

كانت عائلتها مهجرة إلى مدينة جنين من قرية نورس/ حيفا، قبل أن تنتقل للعيش في مدينة الرصيفة الأردنية بعد حرب حزيران، وهو عام النكسة الذي أدى بكثير من العائلات الفلسطينية إلى نزوح ثان من أرض فلسطين إلى دول الشتات.

أم أشرف– كما يكتبها الجميع– لازمتها معيقات صلبة فترة زمنية طويلة من عمرها، وكانت مسارات حياتها خارجة عن إرادتها. وقد لفحتها أذيال التماهي القسري اللامتناهي برغبات الآخرين، وذلك تحت وطء شديد لغياب الوالدين، اللذين توفيا تباعاً قبل أن تبلغ العاشرة من عمرها، فلم تكن تحظى بممارسة طقوس الذات، ولكنها حظيت وكنتيجة لتغيب الوالدين، بفهم أعمق للمعاني الحقيقية لقيم الاستقرار والصبر والأمومة والإيثار.. الخ.

كما أنها لم تحظ بفرصة التعليم العالي، بعد حصولها في وقت سابق على شهادة التوجيهي بمعدل ٧٥٪، فقسوة اليتم حاضرة تفتك بالأماني والرغبات، تطيح بالطموح في نشوة الأنا والغفلة عمن سواي.

بقرار ليست هي سيدته، انتقلت ابتسام لاحقاً إلى جنين من الرصيفة، وكان هذا الانتقال هو (الرحيل) الذي يعني: بيئة مختلفة وظروف متشابهة وأخرى غير متشابهة، وزواج مفاجيء وعلى عجل.

لم يكن هذا الزواج علامة انتهاء القصة، بل كان بمثابة الكلمة الأولى في قصة طويلة. فالزوج مسكين ومريض وغير قادر على تحمل أعباء الحياة الزوجية، فشدت إزارها وضربت فوق رأسها كوفية، وأوجدت لنفسها عملاً داخل بيتها، فكانت تخيط الملابس في الصيف لأهل الحي، الذين يؤثرون عملها. وفي الشتاء كانت تعمل في نسج الصوف، مستخدمة آلة لحياكة الصوف اشترتها من مدخراتها التي ادخرتها بصعوبة، وقد استطاعت أن تغزو بها سوق جنين المحلية، بل وتتعدى ذلك إلى السوق داخل أراضي فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨.

ابتسام كانت تقبض على مفاتيح قوتها من بريق يزهو في عيون ولديها، يتلو صلوات في الكبرياء والشموخ، فتصنع من المعاناة جدولاً تنساب من سحاب السماء مطراً، يمجد في بحر عينيها معاني سامية للأمومة والطفولة، فكانت آراؤها تصب في مصلحة الولدين، مصرة على سلامة روحهما من أي انكسار.

لم تكن حياة الزوج طويلة، وجدلية موته كانت حاضرة من ذي قبل، ومع ذلك فالعبء قد ثقل أكثر، ولكنها أيضاً انطلقت هي أكثر، فكان أن استطاعت شراء أرض وإقامة بناء فوقها متواضع وغير مكتمل، ولكنه يريحها من بيوت الإيجار.

كانت ابتسام مستفيدة من مخصصات الشؤون الاجتماعية، ولكن هذا واقع لم يرق لها، لأن فيه إضرار بقيمة الكبرياء والاعتزاز، وتعزز الانكسار النفسي.

وهي تريد لولديها روحاً متألقة صافية، لا تشتكي من أي ضمور، وهنا برزت فكرتها الخلاقة ومحورية الشخصية لها.

فقد تقدمت للشؤون الاجتماعية لمنحة عاجلة ولمرة واحدة بقيمة مخصصات عام كامل. فأعطيت ما تريد، ثم جير هذا الإجراء إلى نواة تفعيل هذه الفكرة وتعميمها لدى عائلات أخرى، بمعنى أصبح في الوزارة برنامجاً معمولاً به على مبدأ: «بدلاً من أن تعطيني سمكة، علمني كيف أصطاد»، وبهذا أثارت أم أشرف إستراتيجية الحلول الدائمة.

حصلت أم أشرف على ٢٠٠٠ دولار، استثمرتها في إنشاء روضة بوجود ١٢٠ طفلاً وخمس معلمات، فتحول بيتها إلى روضة، وانتقلت هي مع ولديها للسكن في غرفة فوق السطح، مستخدمة السلم الخشبي في الصعود والنزول، ولمدة ثلاث سنوات، واضطرت ابتسام إلى إغلاق روضتها مراراً، بسبب مقابلتها لمستوطنة في الجبل المقابل، وذلك بسبب خوف الأهالي على أطفالهم من الاشتباكات المسلحة، التي كانت تدور رحاها قريباً من الروضة.

خلال إدارتها وإشرافها على الروضة، استفادت ابتسام من الدورات الممكنة، التي كانت تشرف عليها وزارة التربية والتعليم، فتلقت تدريباً في ما يقارب الأربعين دورة، مكنها من إدارة ١٢٠ طفلاً وخمس معلمات، فقد صقلت شخصيتها وإبداعها ومعارفها بدرجة كافية، لا بل أصبحت هي بدورها مدربة في دورات وزارة التربية والتعليم لتأهيل وتدريب المعلمات الجدد.

في جعبتها مخزون إحساسي جميل عن السيدة مها جرار مشرفة رياض الأطفال في تربية جنين، فقد كانت السيدة مها، الداعم الحقيقي والسند للسيدة أم أشرف، ساعدتها في انتصارها على خجلها وتعزيز ثقتها بذاتها، لا سيما الدعم النفسي الشديد الذي تلقته ابتسام من السيدة مها، قبيل أول لقاء كانت به أم أشرف مدربة لمعلمات رياض الأطفال.

إدارة جلسات التدريب، أكسبتها معرفة واتصال وتشبيك مع المجتمع المحلي، وكان احترام الناس لها هو الحصيلة الحقيقية والأكثر الأعظم الذي تفخر بإنجازه بالاستحواذ عليه.

من خلال عملها في المؤسسات الأهلية المجتمعية: وجدت نفسها تتجه اتجاهاً آخراً، وقد استطاعت إثبات ذاتها، وبسرعة فائقة خطت خطواتها بثقة وانتماء، وهي التي تقول: «أهب إخلاصي لانتماءاتي، ولا أنتظر أي مقابل».

فأرادت أن تعطي فأعطيت.

١. عضو مؤتمر في الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية.
٢. عضو لجنة منطقة تنظيمية.
٣. عضو في لجنة المرأة.
٤. عضو لجنة تحضيرية لتسيير أعمال مركز نسوي في الحي الشرقي، وتأمل أن تكون الرئيسة، وربما تخوض انتخابات بلدية جنين في الموسم القادم، معتمدة على مخزونها من محبة واحترام محيطها، إضافة إلى إصرارها على أن تبقى سائرة في مراكب العطاء.

الآن ابتسام تخطو خطوات صلبة وواسعة في خدمة المرأة والمجتمع، ولا تتوانى في ذلك على الإطلاق، وهي سعيدة بما أنجزته، وقد ألقت عن كاهلها أوجاعها، وقد اكتسبت تجربة إنسانية تفوح روعة وإيثاراً وخبرة اكتسبتها، إضافة إلى كل ما ذكر من تلك المشاهدات الإنسانية، التي تفاعلت معها أثناء زيارتها لابنها الأسير داخل المعتقلات الإسرائيلية ولمدة ثلاث سنوات، بالإضافة للألم وهي ترى ابنها ينجو مرات عدة من موت محقق أثناء الانتفاضة الثانية، قبل أن يلتحق اثنيهما بسوق العمل لاحقا.

ابتسام واحدة من نساء قادرات على التغيير في ذاتها أولاً، ثم في عائلتها ومجتمعها.

كل عام وأنت أقرب
رسائل فلسطيني إلى امرأة نائية

عدنان الصباح

سيدتي البعيدة:

أخبار صيفنا هذا العام حارقة، فعلى بوابات ذكرى حزيران الهزيمة والعار، حين التف كل العرب بنار أو عار الهزيمة، وانخرسوا جميعا، إلا من لاءاتهم التي لم يحترموها، فيما بعد جاءتنا أنباء أسطول الحرية وصلف المحتلين في التعامل مع متضامنين عزل، حتى من سكاكين المطابخ، بكل بساطة وعلى مرأى ومسمع، وأكاد أقول بمشاركة انقضت طائرات المحتلين على سفن الغذاء والماء والدواء، وعلى دم مجموعة طيبة من مثقفين وفنانين وصحفيين ونشطاء سلام ورجال دين، ليقتلوا ويجرحوا ويعتقلوا من يشاءوا، وليبقوا في سجونهم أو يطردوا من يشاءوا، وإدرك أن العالم الشعبي رفع صوته وهاج وماج، وأن بعض الرسميين استخدموا ذلك لرفع أرصدتهم الشعبية، باستخدامهم ألفاظاً لم يسبق استخدامها ضد المحتلين، لكن أحدا لم يقدم أبداً على وقف العلاقة بقشة كبريت مع كيان الاحتلال ومؤسساته الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية، بل والاجتماعية والثقافية.

لم يتغير شيء، سوى حناجر الملايين إن جاز الرقم، ولو من باب المبالغة خلف جنازات الضحايا، الذين ذبحتهم علناً طائرات الاحتلال، لم يطرد حتى عامل مطبخ من أية عاصمة عربية تبيع سلعة القومية في خطابها اللفظي، وتبيع إسرائيل وأمريكا الأرض والناس، ولم يقم من قبره السلطان عبد الحميد، ليؤنب سائحاً إسرائيلياً على أبواب اسطنبول، أو يطلب منه التريث حتى تنتهي أيام الحداد، كما نحن لا زلنا، وكل الفرق أن اللغة اختلفت لدى البعض، وذلك من باب تنفيس غضب الشارع، الذي بت أشك حتى به أنه غضب حقيقي.

كل شيء تغير، فنحن أمام عالم جديد، ولا وقت لدينا للكفاح، فمتى سأشارك في معركة التحرير وأين، وغزة مثخنة الجراح والخبز بعيد، فمن أين نطلق الرصاص وبأية اكف يائسة من قدرة الكف الأخرى على المشاركة، حين ينطح المخرز الكف الأولى.

موشك على الإحباط أو محبط، لان ايرلندا قررت إرسال سفينة أخرى في ذكرى راشيل كوري، ولم تقرر تركيا إحياء ذكرى أربعين الشهداء على أبواب غزة، ونحن لم نعد نحيي ذكرى جول جمال أو عبد المنعم رياض أو شهداء قانا أو شهداء رفح وجنين وبحر البقر ودير ياسين، إلا من باب الاحتفال، وذكرى النكبة تكاد تتحول إلى احتفالات فرح، مزينة بألوان وألوان ويافطات ويافطات، حتى باتت مصدر استرزاق للبعض، لا ذكرى كفاح. موشك على الإحباط أو أنا كذلك، لأنك حتى أنت لم تشاركي في مسيرة الحرية، لم تحاولي الاقتراب مني، فكيف بربك سنصل وتصل غزة وتصل القدس ويعود الحاج محمود إلى يافا، إن ظل في العمر بقية، أو إن كان لا زال الحاج محمود حياً أصلاً على بوابات شاتيلا، فقد ودعته هناك قبل أن تشتعل لبنان، لتصبح لا لبنانية، وقبل أن تضيع قوائم الأسماء والأرقام وبطاقات البشر، بين قطع اللحم المشوي، دون أن نسأل ولو مرة من فعل ذلك عدا شارون، أو إلى جانب شارون.

أمة عجيبة نحن يا حبيبتي، نحب من يكرهنا أو يبتعد عنا أو يجلدنا، وكأننا مرضى نتلذذ بعذاب جلادينا ونعشقهم، وأكاد أصدق ذلك، وإلا ما الذي أفعله أنا بتركي لكل نساء الأرض المعروفات، والسعي خلف سرابك، إلا لأنك تعذبيني، أو لأنني أضعف من أن أرد نظرة امرأة جميلة بمثلها، أو لأنني ككل التافهين، اعتقد أن من تلقي لي بالتحية لا تستحق التحية، لأنها موجودة أصلاً، فلا بد إذن من تلك التي هناك لم تأت بعد، ولست أبدا هنا، أشبه الشاعر ناظم حكمت التركي بدون السلطان عبد الحميد، وهو يقول: «أجمل البحار ذاك الذي لم نزره بعد»، وأجمل النساء أنت لأنك لم تأت بعد.

مرضى إذن نتلذذ بعذاب ذاتنا من أعداءنا، ونعشق دور الضحية، أو لا نتقن دوراً سواه، فلدور البطل استحقاق قد لا نستطيع الوفاء به، مع أننا نكثر من استخدامه لوصف من غادرونا فقط، ولا نقبل بأن يحمل هذا اللقب رجل حي، أياً كان، فلا أبطال في أوساطنا، لأننا نكره البطولة ولا نقبل بها ونحاربها، ولا نقبل بالنجاح ونحاربه، فللنجاح أيضاً استحقاقات قد لا نستطيع الوفاء بها، ولأن الفشل والبكاء واستجداء الغير دور سهل، لذا نلجأ إليه لا لغيره لتبرير عجزنا المشين، ونسعى العمر بحثاً عمن يركبنا، بعد أن كنا يوماً أمة الأمم.

حبيبتي:

أيتها الأنثى بكل المعايير التي ،حلم بها، تماماً كتلك المعايير التي أحلم بها لأن تعود يوماً أمة الأمم، ولا أكثر من حلم، فخارج الحلم فعل، ونحن تنازلنا عن دور الفاعل منذ أمد بعيد، لصالح أياً كان عدانا، ترى يا رائعتي، هل تعتقدين أنك يوماً ستاتين، أو أن أمة الحلم ستأتي، لأنني أكتب لك، أو لأننا نغني ونحلم بعودة الأمة، أيكفي الحلم وتكفي رسائل البعد هذه؟؟؟.

غياب المرأة عن العمل النقابي

غياب للدور السياسي والاجتماعي

توفيق العيسى

نحاول في هذا المقال، تسليط الضوء على أسباب تراجع دور المرأة في العمل النقابي الفلسطيني. منذ انطلاقة الانتفاضة الأولى العام ١٩٨٧، راحت المرأة في استلام موقعها النضالي المنادي بالمطالب الوطنية السياسية في تحرير الأرض الفلسطينية، ولما كانت النقابات هي المجال الحيوي والمنبر الأوسع لانتشار الأفكار السياسية والتنظيمية، خاصة، فقد غدا وجود المرأة في الجسم النقابي حاجة ضرورية باعتبارها جزء من النسيج الحزبي الفلسطيني،

وعلى الرغم من تجليات تلك المرحلة السياسية، وازدهار العمل الوطني آنذاك، إلا أن الواضح أن وجود المرأة في العمل السياسي النضالي والنقابي، كان لضرورة براغماتية، ولا تتعدى كونها استخداماً ولم تفرضه ظروف اجتماعية ملائمة أو ديمقراطية اجتماعية، الأمر الذي أدى إلى إنسحاب المرأة من الشارع النضالي إلى (المطبخ) في نهاية الأمر.

ومع نشوء المؤسسات النسوية، ورغم أنها توجهت في برامجها للمرأة العاملة أو المهنية، إلا أن هذا التوجه بقي إلى حد بعيد في إطاره النظري، دون تجسيد لهذا الدور بالأنشطة والآليات.

غياب الديمقراطية وتداول السلطة أسباب حالت دون مشاركة المرأة، أو لنقل إلى إقصائها، وهذا الغياب أو الإقصاء، أدى إلى تغييب قضاياها النقابية والمطلبية عن برامج النقابات، مما رسخ السلطة النقابية ترسيخاً ذكورياً، مما صبغ القضايا المطلبية والقرارات والقوانين المعمول بها والمناقشة والمطروحة، بذات الصبغة الذكورية، كما أدى هذا الغياب إلى جعلها الأكثر استغلالاً في قطاعات العمل المختلفة، سواء الخاصة أو العامة، ومن حيث التمييز في التوظيف والأجور والترقيات، وعلى مستوى القوانين أيضاً.

ولعل اللافت في الموضوع، هو وصول القضية إلى ما هو أسوء من ذلك، وهو حرمان المرأة من فرص العمل، ليصبح التهميش والإقصاء ثقافة مجتمعية، ذلك أن نظرة المجتمع وتعامله مع المرأة في الإطار النقابي، وهي نظرة سلبية، يشوبها الكثير من القلق والاستنكار، وهي من المشاكل التي أدت إلى تراجع دور المرأة.

تحول النقابات إلى مؤسسات سياسية، تعمل بالشأن السياسي أكثر من المطلبي، جعل الكثير من العاملات والمهنيات يبتعدن عن الحياة النقابية، كما كان للصراعات الداخلية والإنشقاقات والخلافات التنظيمية في النقابات، دور في إبتعاد النساء عن العضوية والإنتساب، كذلك غياب الحياة الديموقراطية عن الأجسام النقابية، ممثلة بدورية الانتخابات لتجديد الهيئات القيادية، جعل هذه الهيئات، هيئات أبدية لأصحابها وكأنها قطاع خاص وملكية فردية، كلها أسباب أدت إلى التغييب القصري للمرأة وعدم رفد القطاعات النقابية بدماء شابة وجديدة، الأمر الذي غيب وسيزيد من تغييب دور المرأة عن العمل العام الوطني والاجتماعي، مما يفقد الحركة الوطنية زخماً جماهيرياً.

النسوية أمي

شرف العائلة

د. نادر عزت سعيد

تمسكت بطرف فستانها، ألحق بها أينما ذهبت، وأجري خلفها كالجرو الصغير، مستمتعاً بحماية ظلها، فضولياً لتتابع الأحداث، وأكثر من ذلك منبهراً من قدرتها على التحرك والمواظبة والملاحقة للأمور، فلا تترك حجراً إلا وقلبته، ومخرجاً إلا وقصدته. أعتقد أن هذه الصفات هي التي أنقذت حياة الصبية الصغيرة، خريجة المعهد، ومن القليلات في حينه. كادت أن تذهب ضحية لمفهوم الشرف العابث، الذي لا يفتأ يقض مضاجع فحولة الرجال. أذكر أنها ذهبت في زيارات مكوكية بين بيت الأب والجد وعائلة المستهدفة في بلدة أخرى. لقد اتفق رجال العائلة أن يقتلوها على أيدي مراهقين من العائلة أحدهما ابنها، وهي أيضاً لا تريد أن يتعرض ابنها للحبس، وأن يلطخ يديه الصغيرتين بالدم. وتقول أن أكثر ما أزعجها أن أم المستهدفة – الشخصية المثيرة للجدل، المنحنية الظهر، والحاملة السيجارة (في البلبله)، تحرض لقتلها قبولاً بمبدأ (غسل العار)، واثباتاً لذات لا تقبل أقل من الشرف الرفيع شرفاً. أتذكر أن المسدس قد أصبح جاهزاً، وكذلك الرصاصات. وأصبح مصير المستهدفة، والمراهقين والعائلة أجمع، رهنا لنزوة رجال العائلة القياديين.

هي كانت جميلة، وهذا بحد ذاته يدينها، في عهد ما زالت فيه الجميلات تلقى فديا لفيضان نهر النيل ونزواته العابرة. أحبت إبن الجيران، ووقفت على سطح بيتها للحديث معه من على سطح بيته. وقد تكون قد أرسلت له رسالة أو اثنتين. لم تقتنع أمي أن هذه جريمة تستحق العقاب، وكيف لكم أن تقتلوا إنسانة من أجل كلمات حب من على سطوح البيوت المفتوحة للسماء. قال لها الجد الأكبر (بتتحديني يا عيشة؟ وحياتك بأنه لم يبق لها حياة). لم تقبل بالقدر المكتوب من قبل الجد الأكبر، فذهبت تبحث عن حل بكل الاتجاهات، واستمرت الزيارات المكوكية بين كافة الأطراف، وما زلت متمكسا بطرف الفستان أراقب بعناية وانتظار. إصرار على القتل مقابل إصرار على الحياة، جهل ودموية مقابل نور ورؤية إنسانية، استخدمت فيه كل الأسلحة المتاحة، بما في ذلك حب الزوج الذي مكنه من رؤية نور المحبة يشرق فوق جبل المنطار (في غرب البلد).

وأخيراً، أصبح للتمسك بطرف الفستان مردود عظيم: براءة للمستهدفة وزواج جميل لها ممن تحب، مقابل براءة أبدية منها في الصحيفة ألأوسع انتشاراً من قبل رجال العائلة. كان لا بد للجد الأكبر أن يجعلها تدفع الثمن، أو كما قال (الدنيا خربت لما تتحكم فينا مرة). وللتمسك بطرف الفستان امتداد يتجاوز الخرافات ويمتد عبر زمنين، فمن هناك في شمال الضفة الغربية انتقلت، وبذلتي الرسمية والربطة، عبر الحواجز إلى جنوب قطاع غزة. ذهبت متأنقاً، مع شريكتي في فريق التدخل السريع، وهي كانت متأنقة أيضاً. كانت الأناقة استراتيجيتنا (Dress to impress) من أجل إخراج صديقتنا من الحبس الانفرادي في غرفة بطرف البيارة، حيث يتم التحضير لطقوس التضحية بالفتاة الأولى التي تطفو على سطح الحياة خارج نطاق حقل القصب بالقرب من قريتها. خطيبها يتهمها بشرفها، وهذا يعني أن هناك مشكله!!: قال الأخ المتمترس وراء حاجز صوت العقل. شريكتي، المرأة المتأنقة، عملت مع رجال العائلة، وعملت انا لابس البذلة الرسمية والربطة، مع النساء، لعل هذا الفرز الجنسي يقودنا إلى فك لغز الموت قبل أوانه، وهذا المعنى الخفي لمفهوم الشرف. ولا نخفي بأننا استخدمنا حفنة صغيرة من الابتسامات والايحاءات كل مع الجنس الآخر لتلطيف الأجواء. ذهبنا مع صديقتنا (البكر) إلى حيث لا يوجد بيارات، وفي حياتها أصبحت شرفاً للعائلة ومشرفة لها، فهي تتبوأ الأن أرفع المناصب، وتقدم لمجتمعها ما لا يقدمة رجال (شرفاء) ونساء (شريفات). وفي جلسة حديثة مع الأحفاد، قالت أمي: كثير من النساء قتلن بدافع الشرف، فليسقط قتل الشرف.

زواج الإكراه
الطريق الأسهل إلى الموت البطيء

غزة - إياد العبادلة

أنهت إحسان تعليمها الثانوي بامتياز، وحصلت على منحة دراسية في إحدى الجامعات الأردنية، سافر والدها معها ليرتب لها التسجيل وأمور السكن وغيرها، ولكن أثناء عودته من الأردن، لقي مصرعه على الفور في حادث طرق.

برغم صعوبة الظروف والمشاكل التي واجهتها في بداية الأمر، إلا أنها أكملت دراستها في السنة الدراسية الأولى، وكعادة الطلبة عادت لتقضي الإجازة السنوية برفقة أهلها في غزة، لم تكن على موعد مع القدر، ولم تعرف أن الذئاب تترقبها على أحر من الجمر.

دفنت إحسان جمالها الفاتن وروحها الطيبة الجميلة تحت عباءة من لا يرحمون، مشرعون للدين والقانون لا يفقهون، يعتبرون أنفسهم من كبار القوم، ويتجمعون يومياً لحل مشاكل الناس، وهم في الأساس أكبر مشكلة يواجهها المجتمع، متمسكون بعادات وتقاليد بالية، لأنها تخدم مصالحهم وأهوائهم الشخصية.

إنكار الحقوق

كالعادة في المجتمعات التقليدية، يشرف العم على تربية أبناء أخيه المتوفي، ويتولى كل أمورهم ورعاية أملاكهم، وغالباً ما يتزوج من أرملة أخيه، بحجة تربية الأولاد، ولكن الحقيقة خوفاً على الميراث. وفي إحدى الجلسات لمجلس رجال العائلة، وبمجاملة بسيطة لأحد الوجهاء، وببرودة أعصاب ودون استشارتها أو استشارة والدتها، أو إشعارها بأبسط حقوقها، أهداها عمها زوجة لهذا الرجل، الذي يكبرها بأربعين عاماً، وبكل تبجح قالها بعبارات لا استطيع أن أترجمها لقارئ محترم.

الإعتراض عيب كبير، وكلمة (لا) لا تقال لكبير العائلة، والأم ليس إلا خادمة لأولادها فقط بعد وفاة زوجها، ولا تمتلك القرار، والفتاة هي الضحية بكل المقاييس. هذا العرف المتبع لدى بعض العائلات أو الجماعات التي ما زالت متمسكة ببعض الرواسب القبلية البائدة، والعادات والتقاليد القديمة، والتي لا تتناسب مع الحياة الاجتماعية على أرض الواقع واحترام الآخر، والإعتراف بكينونته ومبادلته الأدوار والوظائف الاجتماعية على أساس الخبرة والكفاءة.

رفضت إحسان الزواج وقاومت الجميع بكل جوارحها، وأقدمت عدة مرات على الانتحار، لتتخلص مما فرض عليها بالقوة، وباءت كل محاولاتها بالفشل، وكلما اشتكت لأحد من أقاربها كان رده بأن: «عمك رأيه صواب وبخاف عليكم ويريد مصلحتكم»، حتى اضطررت للاستسلام بعد صراع مرير ومعاناة طويلة.

فرق السن

لعب فرق السن دوره في الحياة الاجتماعية والزوجية، وتؤكد إحسان أنها لم تذق للحياة طعماً ولا تفهماً، وبانت الفروق الفكرية أكثر، واتضحت من خلال معاملته لها طوال الوقت، واتضحت أكثر أثناء المعاشرة بتصرفه «كحيوان»، دون احترام لإنسانيتها أو مشاعرها، والارتقاء بمعاملة أفضل، وتهربه منها في كثير من الأحيان، نتيجة معاناته من ضعف وعجز بسبب كبر السن، مما قتل فيها كل مشاعر الأنوثة ورغباتها الطبيعية، كحق أي امرأة في الحياة.

لا زالت تكمل إحسان ما تبقى لها من عدد سنوات في الأسر، منتظرة أن ينعم الله عليها بطلاق من زوجها، أو أن يتفقده بواسع رحمته، لتتخلص من ذلك الكابوس التي أوقعها فيه عمها، بإشراك كل من حولها في الجريمة، دون رحمة أو شفقة. وأضافت: «أرجو ممن تقرأ قصتي أن لا تستسلم مثلي، بل يجب أن تقاوم لكي لا يدرج اسمها في سجل الضحايا».

من حيث المبدأ رفضت حنان زواج الإكراه، وأفادت: «أنا لا أحبذ هذا النوع من الزواج، لأنه في معظم الحالات تكون نهايته الفشل». صحيح أن ولي الأمر أكثر خبرة، ولكن هناك منهم من يجبر ابنته على الزواج من شاب لأنه غني، ويتناسى أخلاقه ودينه، أو يجب أن تتزوجي ابن عمك « شئت أم أبيت»، مهما كان فظيعاً، ويجهل أن ابنته لها مشاعر وأحاسيس، وأنها ترغب بوجود مواصفات معينة، ولا يقتصر هذا على الفتاة، بل وعلى الفتى أيضاً.

أما سلمى التي تحدثت عن تجربتها بمرارة، وتقريبا لا يوجد فروق في المضمون بينها وبين إحسان، فهي تعاني اليوم من عقدة ابنتها الكبيرة، نتيجة تعنيف والدها لأمها، والأكثر من ذلك، تخشى سلمى أن يزوجها والدها إكراهاً، كما سبق له تجربة مع أمها. وحول سؤالي لها عن سبب تحملها العيش المرير كما أفادت، قالت: «لا أستطيع العيش كمطلقة، بل أفضّل الاستمرار في العلاقة الزوجية، خوفاً من كلام الناس، فنحن نعيش في مجتمع لا يرحم، كما أخشى على بناتي، ففي مجتمعاتنا بنت «المطلقة» تجلس على دكة الاحتياط، وصرخت بأعلى صوتها: «لا تزوجوا بناتكم غصباً عنهن، حتى لا تتكرر مأساتي».

زواج الإكراه باطل

رفض المأذون الشرعي، الشيخ عبد الشافي نجيب، عقد قران شيرين، برغم من استيفاء جميع شروط الزواج، ولكنه شعر بأن هناك شيئ غير سوي في الأمر، فالأب يتهامس هو والأم، ويعود الاثنان لابنتيهما ويتغامزان مع والدة ووالد العريس، فأخرجهما خارج القاعة، وسأل شيرين بمفردها عما إذا كانت ترغب بالزواج به، فأبلغته بعدم رغبتها بالزواج من العريس، وأن موافقتها تحت ضغط الأب والأم، لأن والد العريس غني وهو ابنه الوحيد. وأشار الشيخ نجيب، إلى أن الزواج بالإكراه شرعاً يعتبر باطلاً وفاسداً، إلا أنه موجود في المجتمع، والفتيات أحياناً يتعرضن لتهديدات مباشرة أو غير مباشرة من الولي عليها، ومع هذا تبقى الفتاة التي لا تعي حقها الشرعي بالرفض والقبول ضحية لهذا النوع من الزواج، ويتعامل معها بصورة تتنافى مع القيم الإنسانية.

وعقب قائلاً: «إن ديننا الحنيف لم يكره أحد على الزواج، بل رغب فيه، وفي بعض الأحيان يكون واجباً وآخر يكون حراماً، إذا لم تتوفر الشروط اللازمة التي تحقق الاستقرار بين الرجل والمرأة. ولكن الزواج بالإكراه لم يأمر به الدين الحنيف، ولقد أبطل رسول الله عندما جاءته امرأة تشتكي أباها على تزويجها كرهاً فلم يقر بذلك، وفي موضع آخر حثنا رسول صلى الله عليه وسلم، بأخذ رأى البنت البكر فى الزواج ودلل على صمتها برضاها».

وعبر مداخلة من زميله الشيخ على عبدالرحيم قال: «عندما يقدم طلب الزواج يسأل القاضي الشرعي الفتاة إن كانت موافقة أم لا، فيكون جوابها إما بالإيجاب أو الرفض، وإذا كانت الفتاة غير موافقة على الشخص المتقدم لخطبتها، وغير قادرة على التصريح بذلك، خوفاً من تهديد ما، فيمكنها بالإشارة، فيستطيع القاضي الشرعي أن يستشف عدم موافقتها على الزواج، خاصة إذا لاحظ وجود فارق بالسن للخاطب، أو عيب ظاهر للقاضي أو ما ينفر على الزواج، ففي هذه الحالة فإن القاضي الشرعي يطلب من المرافقين للفتاة الخروج، ويتحقق منها إن كانت مكرهة على الزواج.

ابتسامة لا تقتلها الدموع

المرأة الهندية لا يعرف الانكسار لها طريقاً

حسناء الرنتيسي

لهفتي باستكشاف المكان الذي حللت به، كانت تشبه لهفة عصفور يقاوم تلك القشرة العالقة بجفنيه ليرى النور، ثم يطلق جناحيه للهواء، كي يستكشف الحياة خارج البيضة. كان الظلام دامساً حين وصلت لغرفتي في مدينة حيدرأباد الهندية، إلى ما يسمى بأل (guest house)، وهو المكان المخصص للطلاب الأجانب، الذين قدموا لتطوير لغتهم الإنجليزية من خلال دورة أل (ITP)، في تلك اللحظة أسرعت متتبعة خيوط الشمس، لأطل برأسي من النافذة، حيث سحر الطبيعة الخلاب، وابتسامة نساء يقمن بجمع أوراق الأ*شجار حول السكن، ويلقين تحية الصباح باللغة الإنجليزية مع حركة للرأس، اكتشفت أنه يقصد بها الترحيب.

حملت الحقيبة وأسرعت للخارج، لأرى صباحاً آخراً في دولة يضرب المثل فيها من حيث بعد المسافة عن دولتي، أسير وأغصان الاشجار تحيط بي، في مشهد ساحر طالما حلمت به، على جوانب الطريق أطفال حفاة شبه عراة، ونساء أمام مبان شاهقة، يحملن الرمل والحجارة على رؤوسهن، ويصعدن عدة طوابق لإيصالها، نساء نحيفات ذوات بشرة سمراء يعملن في البناء! يحفرن أنفاقاً في الأرض لإصلاح شبكة المياه، إحدى النساء تضرب الفأس بقوة في الأرض، بينما يقف رجل إلى جانبها، يحمل وعاءً لحمل التراب ونقله بعيداً، امرأة أخرى تغربل الرمل، وأخرى ترفع الحجارة على رأسها وتصعد للأعلى، كم هي شاقة أعمال هؤلاء النساء.

ترى لماذا أرى أن معظم العمال هنا هن نساء، وأن الرجال أقل؟!! وحين رفعت نظري عالياً أطلت إحداهن رامية ابتسامة من شفاه جافة ووجه متعرق مغبر، جراء نقل الرمال على رأسها، يبدو أنها تبتسم للكاميرا حين قمت بتصويرها، بينما ابنها الذي أظنه يقل عن العامين يحبو على الرمال ويناديها بصوت متقطع وعيون مليئة بالدموع، لا اعرف كيف يمكن ترك طفل يلهو في هذه الشمس الحارقة والاجواء المغبرة، على الرمال الساخنة دون حذاء او لباس يقيه الحرّ.

إنها تقارب الآن الظهيرة، توجهت وإحدى الزميلات من روسيا لإيجاد دكان صغير يبيع المشروبات الباردة، وبينما نسير ونتبادل الحديث فاذا بأحد الأطفال يهجم مسرعاً ليسرق العصير ويفر بعيداً نحو أصدقائه الأطفال، ليقتتلوا بعدها من سيشرب ومن سيمنح غيره فرصة ليشرب. إنه منظر هزّ قلبي وحرك الدمع في عيني، توقفنا للحظات لنراقب ذلك الطفل، إنه يشرب العصير وكأنه كان في صحراء، ثم وجد الماء بعد رحلة بحث طويلة. منذ تلك اللحظة، وفي كل مكان اتجه له، اتتبع معاناة المرأة في الهند، وأحاول معرفة الأسباب التي تدفعها لتعمل أكثر من الرجل، إحدى النساء كانت تضرب الحديد الساخن بأداة ثقيلة بقوة، ويقابلها رجل ضربته أقل قوة من ضربتها، من أين لهن بهذه القوة؟ وهل تحتمل تلك الأجساد النحيلة الأعمال الشاقة هذه؟!!.

هناك سوق للخضار بالقرب من السكن، معظم البائعات فيه من النساء، حيث تنتشر بسطات الخضار، تعلوها النساء اللواتي يجلسن على تلك البسطات حتى المساء، يبعن الخضار الطازجة التي يقطفنها صباحاً ليعرضنها للبيع مرة في الأسبوع، يشاركهن بعض الرجال. إلا أن النسبة الأعظم هي من النساء اللواتي يحيط بهن أطفالهن. كذلك الأمر في الأسواق العامة، فالنساء يعملن في كل المهن حتى في التسول، إحداهن تحمل طفلاً لا أظنه يتجاوز البضعة أيام، وتطوف به بين السياح، راجية الحصول على المال لإطعامه. عندما ترى هذه المناظر، تشعر أنك في عالم آخر مليء بالإعاقات والتشوهات الجسدية والخلقية، والغريب في الأمر أن هذه المهن الشاقة تعمل فيها نساء كبيرات بالسن، بجدائل بيضاء مزينة بالورد، حتى وهن يرتدين الملابس الممزقة فإنهن يتزين بالإكسسوارات والورد. أما اللباس فهو الساري الهندي، الذي لم تقضي عليه الموضة، حيث تجد المدرسات والعاملات والسياسيات وحتى الممثلات، يرتدين هذا الساري.

بينما نحن نستقل حافلة لزيارة الأماكن السياحية في العاصمة دلهي، فإذا بي أرى شاحنات تحمل النساء اللواتي يحملن بأيديهن أدوات عمل، أخبرني أحد المرشدين السياحيين، أن هؤلاء النساء يتوجهن للعمل في مواقع عدة، في البناء والزراعة وما شابه، يا للهول!! ظننت انني سأشهد شيئاً مختلفاً في العاصمة، إن ما أراه من هؤلاء النساء ومن النساء اللواتي يعملن في الأراضي الزراعية، في أشد ساعات النهار حرارة، يجعلني أقول وبملء فمي: «الحمد لله أنني فلسطينية». في زيارة أخرى لمدينة «غوا»، الواقعة على أحد سواحل المحيط الهندي، رأيت واقعاً لا يختلف كثيراً عما رأيته من قبل، نساء يتملقن الأجانب من الدول الأوروبية ومن الدول الأخرى، لجذبهم بالإحراج لشراء الملابس، ما أن ترى امرأة هندية أجنبي أو أجنبية تتجه لها مرحبة ومازحة، ثم تشدها بالقوة لمحلها الضيق، الذي تعرض فيه بعض اللباس الهندي أو اللباس الأجنبي المزين بلمسات هندية.

ذات مرة قرأت واقعة لامرأة هندية، تدعى ميرا سانيال، رئيسة فرع بنك «رويال بنك أوف أسكوتلاند»، عندما كانت تعمل في فرع بنك «لازارد» في الهند، تقول أنها وهي حامل بطفلها الأول، أخبرت رئيسها في العمل، أنها تريد مراعاة في ساعات العمل بعد الوضع، أي تخفيف العبء عليها قليلاً، فما كان من مديرها إلا ان تفاجأ قائلاً: «هل أنت مجنونة؟ لقد هدرنا المال الكثير لإعدادك»، امرأة مكانها كان من الممكن أن تقدم استقالتها، إلا أن ما قامت به سانيال مغاير تماماً لما هو متوقع، حيث عملت بجد واجتهاد مضاعفين حتى أتمت صفقة ناجحة، لتضع طفلها في اليوم التالي، لتفاجئ الجميع بقدرتها على التفوق، رغم كل التحديات.

في إحدى المحاضرات، طلب منا إعداد مقارنة نختارها بين جهتين،

فاخترت المقارنة بين المرأة الهندية والفلسطينية، تفاجأت حينها بحقائق مذهلة لم أكن أعلمها، حيث علمت أن المرأة الهندية هي التي تدفع المهر لزوجها، وكلما زادت قيمة المهر زادت مميزات هذا الشاب الذي تختاره، فالمتعلم مهره أعلى من الأمي، والمهندس أعلى من المدرس، وهكذا. علق الأستاذ بسخرية «الرجال يعرضون كالبضائع في سوبر ماركت، والنساء تختار حسب إمكانياتهن». الآن عرفت لماذا تكد المرأة ليل نهار وفي شتى المجالات، إنها توفر المهر لنفسها أو لبناتها. أحد الطلاب الفلسطينين يدرس الماجستير في جامعة EFL، اجتاز مقررات عدة حول المجتمع الهندي والمرأة تحديداً، يقول أن المرأة الهندية مضطهدة، لدرجة أنها بعد أن تدفع المهر لزوجها، قد ترافقه في رحلة بالقطار، فيدفعها للخارج لتموت، ثم يتزوج بأخرى، ويقول أن ذلك حادث عابر». جرائم كثيرة ترتكب في المجتمع الهندي على هذا المنوال. فتاة عمانية حضرت للجامعة لتلقّي مساقات في اللغة، أمها هندية وتسكن في بيت خالتها، تقول أن مستوى التعليم المسموح به لأغلبية الفتيات هناك هو الدبلوم، وتحرم الكثير من الفتيات من اتمام دراساتهن العليا، هذا اذا كن سعيدات الحظ وتعلمن، كما وتحرم الفتيات من العمل إذا استطاع الأهل توفير مهورهن.

بشكل عام، ما عرفته أن المجتمع الهندي، يفضل الذكور على الإناث، بل ويعتبر الإناث جالبات للفقر، حيث تضطر عائلات كثيرة لتأمين المهور وجهاز البيت لبناتهم، وهذا عبء يثقل كاهل الأسرة. ومن أحد أبشع أوجه التعامل مع المواليد الإناث، أنه قد يتعرض للقتل في المشفى للتخلص منهن لمجرد أنهن إناث. تختلف أساليب التعامل مع المرأة الهندية من بيئة لأخرى، ومن فئة لأخرى، وأعتقد أنها تختلف أيضاً من جيل لآخر.

أحد طلاب القانون هناك، أخبرني أنه سنّ قانون لمنع المهور عام ١٩٦١، إلا أن القانون وقف عاجزاً عن الدفاع عن المرأة الهندية ومنع ابتزازها، كونه لم يخرج عن القول الشفوي، حيث لا إلزام فيه.

رغم أن أبرز الشخصيات المؤثرة في تاريخ الهند منذ الاستقلال امرأتان، هما أنديرا غاندي وسونيا غاندي؛ إلا أنه يتضح أن المساواة بين الجنسين لم تتحقق، ولم يتم العمل بشكل جاد على تحقيقها، فالصورة تتكلم وتلفظ آلاما ودموعا لم تجف، إلى جانب ابتسامة أظنها الأشجع.

حقائق حول المرأة الهندية

رغم أن المرأة الهندية رئيسة جمهورية ورئيسة للبرلمان، ورئيسة أقوى الأحزاب السياسية، ولكن نسبتها في البرلمان لا تتعدى ٩٪.

جميع قيادات بنوك «إتش إس بي سي» و «جيه بي مورغان تشيس» و«رويال بنك أوف أسكوتلاند» و«يو إس بي» و«فيديلتي إنترناشيونال» و«آي سي آي سي آي بنك»، و«آكسيس بنك» في الهند قيادات نسائية.

تقود النساء العمليات المصرفية الاستثمارية في بنك «كوتاك ماهنيدرا» وبنك «جيه بي مورغان تشيس» وقسم الأسهم في «آي سي آي سي آي بنك»، ونصف عدد نواب محافظ البنك الاحتياطي الهندي من النساء.

بحسب دراسة أعدتها شركة التوظيف «إي إم إيه بارتنرز»، فإن النساء يرأسن واحداً من كل خمسة بنوك كبيرة وشركات تأمين وشركات إدارة الأموال في الهند، في الوقت الذي لم تدر فيه أي امرأة بنكاً رئيسياً في الولايات المتحدة وأوروبا.

مغردات خارج السرب

عبد الغني سلامه

ظلت الكاتبة المصرية د. نوال السعداوي، ولفترة طويلة تتصدر قائمة النساء «المشاغبات»، اللواتي يكتبن آرائهن بجرأة غير معهودة، ولكن في الآونة الأخيرة انضمت للقائمة كاتبات أخريات، استطعن أن يزلزلن الأرض تحت أقدام المجتمع الذكوري، وأن يخرجن عن الصمت الذي لازم النساء لقرون عديدة، في مقالات وكتب، أقل ما يقال عنها أنها مثيرة للجدل.

الكاتبة السعودية «نادين البدير»، المذيعة في قناة الحرة الأمريكية، نشرت في صحيفة «المصري اليوم» مقالاً بعنوان: «أنا وأزواجي الأربعة»، لا يهمنا الدخول في تفاصيل قضية تعدد الزوجات –التي أثارتها الكاتبة، وحاولت استفزاز الرجال من خلال العنوان المثير الذي اختارته–، فهي قضية شائكة ومعقدة، ويستغلها البعض لإشباع غريزتهم الجنسية، مدعين أنها «هبة» من الله عز وجل، خص بها الذكور دون الإناث. وما يهمنا هو تساؤل الكاتبة المشروع، عن امتناع الدول الإسلامية عن منع تعدد الزوجات، طالما أن قوانين هذه الدول تحرم اليوم الرق ومُلك اليمين والسبي وغيرها من الأمور، التي كانت في مرحلة سابقة من ضمن التشريع الإسلامي؟!

وفي مقالة أخرى، كتبت «نادين» مقالة بعنوان «إن جئتك أصرح بحبي»، تنتقد فيها بشدة خوف المرأة العربية وخجلها من الاعتراف بالحب للرجل، وتتساءل: هل حق الحديث في الحب والتصريح بالمشاعر ممنوحٌ للرجل وحده دون المرأة؟!

للرد على هذه التساؤلات، قام حراس الفضيلة وكعادتهم، بقصف هذه الكاتبة بوابل من الاتهامات، وصلت الى درجة التكفير، وطالبوا بإغلاق ومقاضاة الصحيفة التي نُشرت مقالها. ولكن بعد هذا الزلزال الذي أحدثته «نادين»، هل توقفت الزلازل النسائية؟!

وإذا كانت تساؤلات نادين بمثابة صرخه أطلقتها لتوقظ فينا حساً انسانياً، لنعرف مدى الوجع والظلم وانكسار الروح الذي تعانيه نساء المسلمين، من جراء تعامل الذكور النزق معهن، فإن كاتبات أخريات صرخن في أودية أخرى، في مجالات تتعدى حقوق المرأة وواقعها الاجتماعي، واقتحمن ميادين ظلت حكراً على الرجل لأمد طويل، بالذات في المجال الفكري وفي صلب عقيدة الإسلام.

الكاتبة الصومالية «آيان هيريسي علي»، أصدرت كتاباً جديداً بعنوان «البدوي»، شنت فيه هجوماً على الإسلام، وكذلك فعلت الكاتبة الباكستانية «إرشاد منجي»، التي أصدرت كتابا بعنوان «الخلل في الإسلام»، ومن قبلهما الكاتبة السورية «وفاء سلطان»، التي أحدثت ضجة كبيرة في مقابلتها على قناة الجزيرة، حين تهجمت على الإسلام بشكل غير معهود على الفضائيات العربية.

لسنا هنا بموقع الدفاع عما كتبت هؤلاء، ولا بصدد التفنيد والرد، وقد لا نتفق مع كل ما ورد في كتبهن، ولكن من المفيد أن نتوقف عند ملاحظتين:

الأولى: أن غالبيتهن جئن من بيئات اجتماعية، كانت وما تزال تمتهن المرأة بشكل أو بآخر، ومنهن من كانت لها تجربة خاصة مريرة مع المعاناة، فمثلاً تتذكر د. نوال السعداوي كيف سرقت العادات الاجتماعية قطعة من جسدها، في عملية يطلق عليها «الختان»، وهي عادة تكاد تقتصر على مصر والسودان وبعض الدول الإفريقية، الكاتبة الباكستانية «إرشاد منجي»، تروي قصتها مع والدها، الذي كان يضرب العمال بقسوة ويعاملهم كالعبيد، وكيف لحقها بالسكّين ليذبحها، فما كان منها إلا أن هربت إلى سطح المنزل لتختبئ هناك حتى الصباح. الصومالية «أيان هرسي»، تشرح بكثير من التفاصيل تأثير القبيلة البدوية التي انحدرت منها وعاداتها الاجتماعية الموغلة في التخلف، أما السعودية «نادين البدير»، فكتبت في إحدى مقالاتها كيف تخلصت من النقاب الذي أُجبرت عليه، وتشرح فلسفتها عن الجمال الفطري وجسد المرأة، وموقف الوهابية المتشنج من هذه القضايا.

الملاحظة الثانية: أنهن بعد أن صرن منبوذات من المؤسسة الدينية التقليدية، ومطاردات بوابل من التهم والشتائم، وقد صدر بحقهن العديد من فتاوى التكفير وهدر الدم والدعوة لقتلهن كمرتدات كافرات، لجأن إلى أمريكا وأوروبا، لينعمن هناك بحماية الدولة وبأجواء من الحرية الكاملة تمكّنهن من مواصلة دربهن الذي اخترنه كمعارضات وثائرات على التقاليد، ومغردات خارج السرب.

حتى لو كانت هجرتهن إلى الغرب قد سبقت صدور كتبهن بكثير، فإن هذا الطرح لا يفيد إلا أصحاب نظرية المؤامرة، الذين يحلو لهم على الدوام اتهام الغرب «الكافر» بالتآمر على الإسلام، وينسون أن هذا الغرب قد وفر لهن الفضاء الرحب ليفكرن دون خوف ودون قيود، ويخرجن من إطار المطبخ والسرير الذي حرص الشرق «المؤمن»، على حبسهن فيه لعصور طويلة.

هل المشكلة هي أن تخرج ثلة من النساء عن عُرف القبيلة لتطرح أسئلة محرمة؟ أم هي الخشية من تجرؤ استخدام المرأة المسلمة لقدراتها العقلية المصادرة، ومن تحرر شخصيتها المستلبة؟ أم هي الرهبة من تقليب بعض الأوراق وكشف المستور من العورات، التي غُلفت بالقداسة دون وجه حق؟ أم هي الخشية من استعادة جزء من حريتنا الفكرية التي صادرها وعاظ السلاطين، واستجابت لهم الجموع طائعين خانعين، قبل أن تصادرها أجهزة الدولة بزمن طويل؟!

وبصرف النظر عن محتوى هذه الكتب، وسواء اختلفنا أم اتفقنا معها، فليس هذا هو الموضوع، المهم أنه من شبه المؤكد ستأتي أقلام جديدة لتنضم إلى الركب، وسيُطرح المزيد من الأسئلة، ولن تظل الإجابات حكراً على رجال الدين، وبنفس الشكل الذي يعيد إنتاج نفسه كل مرة، كما لو أننا خارج معادلة الزمان، ولن تظل المسألة مقتصرة على بضعة كاتبات، يسهل على البعض اتهامهن بالعمالة أو الشذوذ الجنسي، أو الكفر والإلحاد.

بعد أن قرأت معظم كتبهن، أؤكد معارضتي لكثير مما جاء فيها، ولكن مع هذا أرى أن ما طرحنه، يندرج في خانة التساؤلات الاستفزازية، التي تبحث عن إجابات غير التكفير والشتائم، وبالتأكيد ليست تلك الإجابات البديهية واليقينية، التي سكنت عقولنا كل هذه السنين، ما نحتاجه فعلاً للرد على هذه التساؤلات وغيرها، هو ممارسة واعية لعملية نقد ذاتي لا تقبل المساومة، ومراجعة شجاعة لكل النصوص التي طالما أحاطتها هالات من المقدس والتابو، لنتمكن بعدها من تقديم إجابات إنسانية حضارية، بدلاً من تلك العِظات التي حفظناها عن ظهر قلب.

في محطة انتظار

علا «محمد مهدي» فتحي

كغيمة ركامية تفتح فاها على مصراعيه، قاذفةً كل ما لديها، هكذا فعلت... لتكتشف أن الرياح لا تسيّر تلك الغيمة كما تشتهي، وأنها إنما تُسقط حملها على أرضٍ لا تستحق الخصب!!

لم يكن الزواج يعني لها سوى استقرار، لم تكن تفتقده، فهي «شخصية مستقلة»، كما يتندر زوجها مكرراً الجملة التي نبتت على لسانها واستمرت بالاخضرار، وقبل أن تزهر يبست!

«الصبر الصبر، وإن نبت الشوك!»، تواسي ذاتها.

فحتى الأحلام تفرّ من واقعها، تلك الطفلة التي تصعد في منامها متسلقةً درجات عمرها، وترقص على أطراف أصابعها غير آبهةٍ لثوبها الناضج بالفتنة، وتلك المساحة الضيقة المؤدية للفراغ القاتل... حتى تلك الشقية، البريئة، الفاتنة، تشارك كل شيء بالابتعاد عن عالمها

فالحمل يُجهض من أوله، إذ لا نبضٍ للجنين!! لينمو في عمقها سؤالٌ: «هل أصلح للحياة، هل سيتقبل جسدي روحاً تضج بالحياة، كم اشتاق لشيءٍ ينبض داخلي، «يرفس»، يقفز، يعلن عن قابليته للحياة».

ربما يتعلق ذلك بمحور آخر، لا علاقة له بقابلية الجسد لاحتضان الروح، ولا يعجز الأطباء عن تأويلاتٍ وتعقيداتٍ تجعل استمرار الحمل معجزة، أشبه بحمل السيدة العذراء!!

لكن ابتعاد ذلك الكائن الذي يشتاق كيانها لاحتوائه يجعل وضعها صعباً في بيت العائلة، طالما ولي العهد «لم يشرّف بعد»، وطالما أن هناك حجة ثانوية: مواصلات العمل، وهي المسافة بين قلقيلية ونابلس، إذاً فالأولاد يضيعون على الطريق!

لذا عليها أن تضيف لتعبها النفسي والجسدي -جراء الإجهاض- فرعاً آخر، وهو موقف العائلة- باستثناء زوجها الذي يبقى «أوكسجيناً» تحاول التقوّت من خلاله للنهوض مجدداً، وعندما تستعيد عافيتها في وقت قياسي تفقأ تلك الفقاعات من الأقاويل التي تسبح في ذهنها وتتكاثر... تفقؤها قبل أن تنفجر في رأسها... ويكون العمل هو المرفأ، بل هو الترفيه، لكن حاجتها للسكن في نابلس لكسب راحتها الجسدية والروحية تذكرها بخيبةٍ أخرى، فمنذ ثلاث سنوات ونصف وهي تسعى للحصول على تعيين، سيتحسن الراتب، وتحظى بامتياز التأمين الصحي، سيكون لها «عين» لتطالب بالسكن المؤقت في نابلس، أما والحال كذلك، وهما يتعكزان على راتب مقطوع، فالحال لن يتغير، ستبقى وزوجها ينتظران بداية كل فصلٍ دراسي عقود التجديد للحظي ببعض الأحلام، التي تتأجل دوماً...

تغمض الطفلة عينيها وتصعد، تكاد تتعثر أكثر من مرة لكنها لا تخفق في الوصول للقمة المطلة على الفراغ... ترقص وترقص، لا تقترب ولا تبتعد...

والأم المنتظرة تحاول الانفلات صوب الحياة من ثغرة ما، والإمساك بشعاع الشمس التي تشرق كل صباح من روحها، تقول لزوجها دوماً: «بداية كل صباح أشعر بشيءٍ يضيء ذاتي، كأنها الشمس، وما أكاد أمسك بعض شعاعها حتى تتكسر تاركةً شعور خاوٍ، لعله الانتظار، وقبل مغيب الشمس على العالم تكون قد اختفت آثارها، انتظر صباحاً آخر، عساني أمسك بقرصها فلا تخفت أبداً».

وهكذا تسقط أيامها تباعاً وهي تنتظر إطلالة ما، محاولةً الإغماض عن همسات الآخرين المسموعة: «أنتِ على أبواب الثلاثين، إن لم تنجبي الآن سيكون من الصعب الحمل أصلاً بعد ذلك»، «لا قيمة للزواج بدون أطفال»، «الرجال لا ينتظرون كثيراً عندما تكون المشكلة لدى المرأة»...

لكنهم يعلمون، وهي تعلم أن المشكلة لا تكمن في التنقل، فكثيراتٌ من زميلاتها يأتين من أماكن بعيدة، ويستمر حملهن حتى نهايته... المشكلة في عثرة ما، قد تكون حكمة إلهية لتتعلم الصبر، فهي تفكر وتحيا على إيقاعات سريعة، تريد العمل والاستقرار والتهام الروايات والكتابة والمجاملة في فسحة ضئيلة من الزمن، زيادةً على ذلك رغبتها الملحة للاستزادة بدراسة ماجستير في الإعلام، لكن ذلك يختلف عما سواه، فإن احتاجت طموحاتها الأولى للوقت، فالأخيرة تحتاج لدخلٍ ثابت، لا مقطوع، وهي التي تؤجل علاج سنٍ ينخره السوس لشهر كامل كيف ستقدم على مشروع كهذا!

كم يخطر لها وهي تصارع الوقت لوصول بيتها مبكراً لو أنها تمتلك سيارة، لكنها تقصي تلك الأمنية بعيداً فلا وقت أصلاً لتركب جناح غيمة، «لا يجدر بي تحضير الفرس قبل الفارس»، تحدثها ذاتها...

ترفل صغيرتها في فستانٍ ساحر، وتستمر في الرقص على أطراف أصابعها مغمضة، لا ترى أمها المتلهفة لاحتضان بعضها، تبدو ثابتةً أكثر، لا تتعثر، تتراءى كاملة الروعة لا ينقصها سوى طوق قرن الغزال... تجهز الطعام سريعاً لتمضي وزوجها في نزهة -رغم التعب- لجمع قرن الغزال، ولا تعود إلا « بضمة» كبيرة منه، وتنهمك في قطع بتلاته، تمسك رأس الحنون وتعكسه، وتقطع السبلات محدثةً فراغاً أسفل البتلات، ثم تشبكها معاً في خيط مكونةً طوقاً، كانت في طفولتها تحسبه نوعاً من الياقوت الذي كانت تسمع عنه، كانت تستغل زيارة والدتها لجدتها لتتسلق «رجم قرن الغزال»، الذي كان «يطفح» بتلك النبتة المذهلة، كانت تحتار أتبدأ بجمعه أولاً أم في «شكه» صانعةً طوقاً، لكن محاولاتها لنزع تلك القبعة تبوء بفشل وخسارة لقرون كثيرة تتمزق بتلاتها...أما الآن ولأجل طفلتها التي لم تصل بعد فقد أصبحت صانعة أطواق قرن الغزال بامتياز، تنساب بين أصابعها كخرزات تتسق تلقائياً، الآن فقط تستطيع استحضار صورة أبهى لطفلتها، عندما تأتي ستصنع لها الكثير، بل ستحتفل معها بعيد قرن الغزال، لن يلومها الآخرون، سيكون الجزء الأكبر من مسؤولياتها الاجتماعية قد تم، عندما تحدث معجزة استمرار الحمل!!

يقول الطبيب إن الحل بإجراء جراحة للرحم، ليزال الحاجز بين حجرتي الرحم، ليكون حجرةً واحدة، وإلا فمن الصعب استمرار الحمل عندما يكون الرحم بقرنين، لكن من المستحيل إجراء الجراحة الآن، سيكون ذلك طموحاً ثانوياً كدراسة ماجستير أو امتلاك سيارة... كل ذلك يصطف في طابور الأولويات التي ستبدأ في تنفيذها حال فكاك «النحس» الذي يؤجل حصولها أو زوجها على التعيين، الذي سيترك العنان للمارد بتحطيم زجاجته وتنفيذ الأماني التي لا تنتهي...

المفتاح هو الصبر سيأتي كل شيء أخيراً... حتماً سيأتي، وقد طبقت تلك القاعدة حتى أنها أحاطت نفسها بأنواع الصبار جميعه، تلك النبتة المميزة التي لا تموت، تتحمل العطش والشمس والبرودة، ستواسيها للمضي في الصبر حتى حين، لم يفلح غيرها في البقاء، «النيجرو» ماتت، و«المحكمة»، و«الست المستحية»، كلها فائقة الحساسية، أو ربما يكون الجو ضاغطاً أكثر من احتمالها!! «لكنني صبارة، نعم صبارة، لن يهمني الارتواء من تشجيع الآخرين، سأضمد ذاتي وحدي، وها هو زوجي يرطب لي الأجواء لأمضي»! تؤازر نفسها.

في المرة الأولى عندما أجهضت كان الجميع حولها مواسياً، بما أن لا مشكلة في الحمل سيأتون حتماً «ويملون الدار»، لكن في المرة الثانية صارت المواساة تأنيباً، وفي المرة الأخيرة أصبحت عداءً وتحميلاً للمسؤولية!!

ها هي تستبشر بحمل جديد، ستحتفظ بسره حتى يبشرها الطبيب بنبض الجنين، وإن لم يستمر الحمل، سيكفي النبض ليشهد لها بقابليتها لاحتضان الحياة، ستعد تلك الطفلة الجميلة التي لا تتعب من الرقص على أطراف أصابعها- ستعدها بفساتين كثيرة، وتغريها بأطواق قرن الغزال، وربما بعقد من الياسمين والنرجس، سيكون ذلك مغرياً أكثر... ستأتي أخيراً ويأتي أخوتها، قد لا يرتبط ذلك باستقرار العمل، قد يكون الموعد لم يأتِ بعد، لكن لا ضير في الانتظار والإمساك بخيطٍ من النور...هو الأمل.

تغاريب (أُمي)

فاطمة علي محمد عبيدات

أيّها العائدُ من بقاعِ الغيم،
مُتشدقاً لأكمام (أمي). هناكَ مُتسعُ
جوعٍ يَقتادنا إليها. إلى تغاريبِ اللوتسِ
في مُّتكئ ثغرها، وإغفاءةِ الفنِ فوقَ
نقشِ حصادها..
وكثيراً إلى تراتيلِ الدمعِ في جرارِ
الورقْ. نَعمْ؛ هناكَ مُتسعٌ وذاكَ
يصطحبنا، يقتادنا عُنوةً مثلما يُساقُ
زِقاقُ الروحِ. زِقاقٌ بزغَ أصيصُ صبحهِ في
هَضابِ مقلتيها.
وحينها، في قيدِ الفجاةِ تعبثُ أناملُ
الطفولة بتقاسيمِ أسئلتي. وأسئلتي تهربُ
نحوَ شفاهِ الإجابَة. تلكَ شفاهُ (أمي).
و(أمي) عرشُ نور، تُجالسهُ أجنحةُ
الفراشاتِ الراقصةِ. وتَرتقُ رقاعُ
فؤادهِ، أذيالُ عطرٍ مُضمّخَةٍ بالمسكِ
والحناء.
فاختبئُ في جلبابِ الهمسِ، قابضةً عُنقَ
صوتي. وأعودُ أحاكي (أمي).
(أَأُمي)؟، دعينا نعودُ قطافاً يتهاطلُ
في أرجوحةِ عضديك. وَخذينا إلى محرابِ
تُرابكِ، فذاكَ شوقٌ تَتَلَمّذَ من على
جِيْدِك. وأعلمُ أن جعبةَ جِيْدِك
مليئةٌ بسلالِ الرمانْ. حُبلى بأهوالِ
البحرِ وأمواجِ الدفءِ وضوضاءِ الطفولةِ
المتمردة.
فالموجُ تتهادى أوراقُ رمالهِ في كلِّ
حينْ. مُعلنةً رَسْمَ يَدٍ تقتربُ من
حائطِ جسدي!. هذا الجسدُ الذي يلفهُ
الصخرُ، مغروراً فوقَ تشققاتِ الذات.
وتلكَ اليدُ تقتربُ أكثرَ فأكثرْ. يدكِ
(أمي)، إنّها عباءةُ سدائلٍ من الشَعْرِ
النائم.
وأتوجّسُ طريقي إليكِ. لأجدَ بابكِ يُزهِرُ
ذاتَ ربيعٍ في جيبي. ينتظرُني بأبهى
الحُلّلِ، كما عهدتهُ يفعلُ مع أنامِلِ
الشمسِ الهاربةَ.
(أُحبكِ)، أقولها وأتشعلقُ فيكِ (أنتِ)،
(أنتِ). وأستحلفكِ بزُخرُفِ الكواكبِ،
التي تصطفُ من على وجنتيكِ.. مما أنتِ
(أمي)؟.. ففي لَحظها أضيعُ في إدراكِ عدمِ
معرفتي، لأعودَ طيراً إلى ديجورِ التيهِ
في شغفِ صدرك.
ذاكَ الصدرُ الذي تنامى منهُ سائرُ
الأنام. وانطلقوا يَعُبّونَ الحياةَ
بنَهَمِ الحاجةِ للامتلاء. ربّما هيَّ
حاجَتنا إلى الامتلاءِ (بكِ). والانتحاءِ
نحوَ (تغاريبِ) صلالةِ العطفِ وأجيجِ
العطاء.
باللهِ أو باآآآآآه مما أنتِ (أمي)؟!؟..
كيفَ تتناثرينَ مع فتاتِ الخبزِ، على
عتباتِ النوافذ؟. وتتخذينَ من أوهامِ
حطامنا جسرا؟. أتُراكِ كيما تخيطينَ
الأملَ، سنابلَ كعكٍ وقرنفلْ.
كيفَ ولماذا ومما؟، يَضجُّ رأسي بسفنِ
الإلحاحِ (أمي). ولا أمتلكُ ثوبَ حرفٍ إلا
ويقولُ: (أمي، أمي)..
فعلامَ الإجابةُ و (أنتِ) منتهى الارتضاء؟!..
إذ تنبثقُ من وهجِ أعمدتكِ ركائزُ
المدائنِ والأمصارِ. وَتعلو قِبابُ
الآثارِ لتتخذَ حيّزاً في آفاقِ
التاريخِ المجنون. علّها تنادي جهراً
– كلنا لحافُ تعاضدٍ وركابُ حضارةٍ ما
انفكت تغتسلُ طقوسها- .
ما انفكتْ تغتسلُ في حوضِ (إيمائكِ).
وأحياناً لا تتجرأُ الأحبارُ مُتسعاً كي
تَميدَ القولَ وهجاً أمامَ (حضوركِ)..
فامرأةٌ كنتِ ولم تزلِ ..
أمُّ التكوينِ ونشأة الارتحال. هكذا
تمتطينا العودةُ لتلكَ (التغاريبِ)
الجاثمةِ على محياكِ.
تغاريبِ (أمي)..
ومما أنتِ (أمي)؟ مع كاملِ السبقِ وإصرارِ
التَرصدِ، لا أدري .وما أهميةُ أن تدري، إن
كنتَ تمتلكُ بذرةَ الحياةِ ومستودعها؟!..
أَمِنَ الغباءِ إطاحةُ تجسيدِ أساورُ
الطهارة، والانسياقُ في سذاجةِ الاغوارِ
المعهودة؟. أن نترك روحَ (الأنثى) في كأسِ
الاعتياديةِ؟!..
تباً للاعتياديّة، إذاً.
هناكَ مساحةُ فضاءٍ تغزو قوالبَ
الأجسادِ، وَتنبشُ مكامنَ الإبداعِ
فيها. تُطلقُ عنانها نحوَ صراخِ الجياد.
وتأخذُ بيدها تارةً، إلى طبقِ الألمِ
الراضعِ من أثداءِ (أمي) بضعاً.
تلكَ مساحتي، وأقصاعها منكِ أنتِ.
فمما أنتِ (أمي)؟. هكذا يتسائلُ الانحسارُ في
ميقاتِ براثنِ الانتهاء.
أما يَكفيكَ الكفى أيها الانتهاء؟.
هيَّ تغاريبُ (أمي).
وكفى
يا لَيتني حجرٌ،كَي أَحنَّ إلى أيِّ شيء
أو مادَّةٌ لانبثاقِ الضروريِّ،من عبثِ
اللاضروريّ

حزامة حبايب

الروائية حزامة حبايب، ولدَت ونشأت في الكويت لأب فلسطيني وأم سورية، وهي تحمل اسماً مولوداً من خطأ لغوي، إذ أرادت أمها أن تسميها حذام، تيمناً بزرقاء اليمامة، لكنهم سجلوه حزام حسب اللفظ الشامي، وأضافوا إليه التاء المربوطة. اضطرت حزامة إلى مغادرة مسقط رأسها، بعد حرب تحرير الكويت، إلى الأردن، قبل أن تستقر في الإمارات. استفادت الروائية من محطات تنقلاتها بين البلاد في رسم جغرافيا روايتها. وهي تقول إن تلك التنقلات المكانية التي كان معظمها قسرياً وغير مخطط له، لعبت دوراً كبيراً في حالة الترحال التي تعيشها شخوص «أصل الهوى»، اشتهرت حزامة بأنها قاصة متميزة، وكاتبة مقالة رشيقة وجريئة. وبعد أربع مجموعات قصصية هي: «الرجل الذي يتكرر» (١٩٩٢)، و «التفاحات البعيدة» (١٩٩٤)، و «شكل للغياب» (١٩٩٧)، و «ليل أحلى» (٢٠٠٢)، نشرت روايتها الأولى التي تطأ أرضاً جديدة في الرواية العربية.

الشاعرة صونيا خضر

احتفلت الشاعرة «صونيا خضر»، بإصدار ديوانها الأول (لشموس خبأتها)، ويقع الديوان الصادر عن (دار فضاءات للنشر والتوزيع الأردنية)، في ١٥٦ صفحة من القطع المتوسط، ويظهر غلافه الخارجي صورة إمرأة داخل غرفة لها ثلاث نوافذ زجاجية، وسط ألوان صارخة من الأحمر والأخضر.

صونيا أهدت ديوانها الشعري الأول الى والدتها «انستاسيا عودة»، التي تقول فيها «حين تغرز غيابها في عباءة الفجر، يتدفق النهار وجعا».

صونيا خضر خريجة الكيمياء الحيوية، قرأت مجموعة من قصائد ديوانها، في احتفال خاص أقيم على خشبة مسرح عشتار في رام الله في الأول من حزيران.

وفي تعليق لها تقول: «لم أخطط لأي شيء، لم أخطط أن أضع نفسي على ورق، لقد بدأت الكتابة منذ خمس سنوات، وهذا أول ديوان يصدر لي، ويضم ١٢ قصيدة، لكل منها حالتها التي تعكسها».

وين يا حبيبي؟

يوم ماتت جدتي، انطلقت صرخات النسوة في المخيّم تشق السماوات الموشومة بأسلاك الكهرباء المسروقة، حزناً على المرأة التي شغلتهم بمشاكساتها، في عمرها الذي استطال على نحو لا بأس به. في اليوم الثالث للعزاء، وقد انحسر الندب وتكاثرت النميمة، ارتفعت صرخات أخرى في بيت جدتي، الذي لم تتبخر منه رائحتها، اخترقت الأكوان كلها، وشقت سابع سما. لقد وقع فقد آخر، كان أشق على الأنفس من فقد جدتي: أثواب المرحومة فقدت. لقد سرقت.

لم تحتج نسوة العائلة إلى كثير خبث لمعرفة اليد التي تطاولت على إرث جدتي؛ التي وسدت التراب، ولم يخمد النزق في عودها الصلب بعد تماماً. كانت اللصة الجسورة قريبة العائلة البعيدة إياها السباقة إلى عزاءات نسوة المخيم، فلا تكاد تغزو عزاءً حتى يكتشف أهله، بعد توضيب أحزانهم، اختفاء طقم طناجر ألمونيوم، أو صينية تيفال غير مستخدمة، كان ابن الفقيدة قد جلبها منذ سنوات لوالدته من السعودية، ولسبب ما له علاقة بالحفاظ على الغالي والجديد، استخسرتها المرحومة في نفسها أو أهل بيتها. كله يهون إلا أثواب الحاجة! لطمت القريبات، الطامعات بالأثواب، وصحن أكثر مما صحن لرحيل جدتي. أربعة أثواب من بينها ثوب دجني أصيل (من قرية بيت دجن)، أبيض سكري بعروق عريضة، بتطريز فائر الحمرة، فائض التفاصيل، عكس صخب حياة جدتي وعنفها. تقول الأسطورة التي آمنت بها حفنة معقولة من نساء الأرض، أن لصة الأثواب، التي لعلها تصطلي الآن في نار جهنم، رقصت في ثوب جدتي الدجني في أحد الأعراس، وتقافزت فوق الجميع تختال بجسدها الذي حوطته العروق الحمراء السخية، حتى إذا ما جاء الصباح عثر عليها ميتة. كانت بالثوب، ممددة على ظهرها، وقد فتحت عينيها بذعر، كما لو أنها رأت شبحاً، أو كانت تقاوم يدين حانقتين تخنقانها. كانت الرواية الأكثر منطقية، هي أن جدتي لم تحتمل روحها أن ترى ثوبها الأثير على جسد غير جسدها، أو على جسد غير مستحق، فخنقت قريبتها البعيدة لصة الأثواب. من يعرف جدتي، يعرف أن القتل المشروع من شيمها!

لقد أحبت جدتي أثوابها، التي كانت تطرزها بتأني حكمة الجمال وملاحة الصبر حيناً، وتسرع محدثي الغرام المولهين حيناً آخراً. كان المرء يستطيع أن يقيس مزاجها من غرزتها، من التفاف الخيط على الخيط، من انعطافة الشكل، من تثاؤب شكل الوردة وانبساط بتلاتها غبطة، أو من انحناء عنقها وتدليه حزناً. الأحمر في أوقاتها المبتهجة، ليس هو الأحمر في فترات عمرها الكاتمة والمكلومة. على أنه في جميع الأحوال، وفي نهاية مشوار التطريز وأمزجته المتلونة، فإن الثوب الذي يعانق قوامها النحيل، المتين، اليابس، غير المنثني، غير القابل للانكسار هو الثوب الفلسطيني الحي، الناطق أبداً.

كانت أحب الليالي إلي، وأنا طفلة، تلك التي أتشبث فيها بطرف ثوب جدتي، أسير وإياها في أزقة المخيم لحضور عرس جارة أو واحدة من معارفها الكثيرات، يقودنا صوت غناء غير منظم يعلو تدريجياً، حتى إذا ما وصلنا إلى مكان الصوت، انطلقت حنجرة جدتي القوية بالزغاريد، ثم كأن جميع النسوة ينسحبن تلقائياً من وسط الحجرة، التي يشتعل فيها الرقص إلى الجانبين، ليسمحن لجدتي باحتلال البقعة المركزية في مساحة الرقص في الحجرة الضيقة المكتظة بالمدعوات. تتقاطع عروق الأثواب وألوانها؛ يحتك القماش بالقماش، تتداخل التعرجات بالانعطافات، تلتقي الثريات المطرزة بالمزهريات المنقوشة، تتشابك طُبب خيوط الحرير؛ وحده ثوب جدتي لا يشبه أي ثوب، واللون الذي يتفجر من عروقه لا يختلط مع أي لون آخر. تهطل تطاريز ثوبها في الغرفة مطراً أحمراً، أو سيلاً عرمرماً أخضراً، أو فيضان من القصب الذهبي المترف، الذي يغشى الأبصار. يرتفع صوت جدتي، ذو التضاعيف اللحنية الربانية بـ «تلولحي يا دالية يا أم الغصون العالية». تكون جدتي، المرأة الناحلة بالجديلة المحناة التي تتفلت من تحت إيشاربها، أروع النساء.

حزامة حبايب

Huzama.habayeb@gmail.com

بماذا اعتصمت يا راوي الحكايات؟

صونيا خضر

١- قرار
أسحب أعوامي كلّها من علبة الكبريت
أشعلها دفعةً واحدة
أسحق رمادها المكسور
ألقيه إلى ظلال باهتة
كي لا تصير الحياة لغماً موصولا بالذاكرة
أو جثة منذورة للتراب..

٢- أدرك الآن
لن يكفي ألف حريق لإفساد رئة البحر
لن تكفي ألف سماء
لتغسل الصباح من الأماني الموجعات للندى
أدرك الآن
أن الندى لا يصلح لكتابة الحكايات
لا يكفي للّهاث في ماء النعاس
ولا يسقط برداً وسلاماً على جثث الغواية..

٣- فراغ
ألقي بأصابعي النحيلة إلى فراغ باطل
لا يعنيه الكلام
فما من سبيل لأحتفظ بمذاق المعنى
فيما سعال ماكر لذئب النوايا
يعوي على مقربة من شظايا الأحلام
والأحلام ممسوسة بالفجيعة
الفجيعة حجر طائش
قد يصيب مئذنة
أو... أمنية
لا تبالغي يا أصابعي
ولا تجمعي الصرار
فالنهر أيضاً
فراغ..

٤- هلام
شيء ما صادر ملامحي
ورشح بالسراب فوق أرصفتي [المدهونة بالبكاء]
فبربك بماذا اعتصمت
يا راوي الحكايات
وانت ترجمني بخيالات طائشة
لأوهام ممسوسة بالخراب
مرهونة للخطايا؟
قل لي بأي كلمات سأحتمي
والكلمات ضباب

٥- أينا أنا
سأكتفي بجمع المطر
كي أغسل البحر
أريد لظلّي
أن يطفو نقياً على صفحة الماء
وأريد لوجهي أن يعرفني
دون أن يحدّق بي..
لكني
أراه أمامي الآن
إثنان
متموجان
وصفصاف الحيرة فيهما وارف حتى التعب
يهتديان إليهما بغمازة الخد التي لم تحصل بعد
يحترفان الابتسامة دون سبب..
حدث أن خرج أحد وجهي ليلاحق الزمن
وخرج الآخر ليلتحق بالذاكرة
وعادا مجدداً إلى صفحة الماء
عرفت
أن كلاهما غير هذا الوجه الذي أرتديه
وكلاهما غير الوجه الذي أريد
فلم أعد اتسائل
أيهما أنا؟

عناية الحامل بصحتها

من أجل تكوين القدرة الذاتية والاستعداد الكامل لمجابهة مسؤوليات الحمل والولادة. على المرأة الحامل أن تعتني بنفسها وبصحتها قبل أي شيء آخر

النوم والراحة

يجب على الحامل أن تنام من ثماني ساعات إلى عشر يومياً في الليل، ومدة ساعة بعد الغذاء ظهراً، تشعر النساء كثيراً بحاجة ملحة للنوم في أشهر الحمل الأولى، وهذه ظاهرة طبيعية، يمكن للحامل أن تنام فيها كيفما تشاء، ولكن خلال أشهر الحمل الأخيرة. عليها أن تنام على ظهرها أو على أحد جنبيها بحيث لا تزعج جنينها.

الاستحمام والسباحة يمكن الاستحمام وأنت واقفة في مغطس، وحاذري حصول زلة قدم أو الوقوع في صحن المغطس أو على طرفه، لأن التوازن يكون غير ثابت في أشهر الحمل الأخيرة. أما فيما يتعلق بالسباحة، فإنها غير مضرة بالحامل، شرط أن تكون صحتها سليمة، ولا تشكو من مضاعفات الحمل. والسباحة يجب أن تزاول في مسابح هادئة نظيفة، تكون غزارة الماء فيها مقبولة، كما يجب عدم التعرض للشمس، إلا لمدة زمنية قصيرة جداً.

السير والرياضة

يمكنك مزاولة الرياضة البدنية في الهواء الطلق، وأهمها السير على مراحل، بمعدل كيلو متر واحد في اليوم. فالسير لمدة نصف ساعة يومياً يزيد كمية الأكسجين في الدم. أما الرياضة المجهدة والقاسية فغير مرغوب فيها. كما أنه من الواجب الامتناع عن حمل الأشياء ثقيلة الوزن، والتعرض للرجرجة العنيفة في السيارة، وبعض ألعاب مدينة الملاهي.

المشروبات الكحولية

على الحامل أن تدرك أن كمية الكحول التي تتناولها، مهما كانت ضئيلة في نظرها، سرعان ما تصل إلى دم الجنين عن طريق المشيمة، وتؤثر عليه في آخر الأمر. كما أن الإكثار من تناول المشروبات الكحولية أو الإدمان عليها، يسبب تعقيدات جمة عند الحامل، مثل الولادة قبل الأوان، والإجهاض المبكر وداء السكري.

الاعتناء بالثديين استعدادا للرضاعة

ينظف الثديان يومياً بالماء الفاتر والصابون طوال فترة الحمل، ويمسحان بالمراهم الملطفة، لمنع تشقق الجلد والحلمة. كما انصح بتعريض الثديين للهواء مدة عشر دقائق يومياً قبل الظهر وبعده استعداداً للرضاعة.

أسنان الحامل ومداواتها

على الحامل الاعتناء بأسنانها خلال فترة الحمل، وأن تستشير طبيباً بشأن النخرة التالفة. والحمل لا يمنع من حفر الأسنان أو اختلاع الفاسد منها، خلافاً للاعتقاد السائد بأن ذلك يؤثر على حياة الجنين ويعرضه للإسقاط، بل العكس هو الصحيح، بشرط ألا تقتلع الأسنان إلا تحت تأثير التخدير الموضعي. كما أنصحها بتنظيف أسنانها بالفرشاة والمعجون مرتين يومياً وتناول مادة الفلور (Fluor) طوال مدة الحمل.

التدخين

غالبية الأطباء يعارضون التدخين أثناء الحمل. فقد ثبت أن الأطفال الذين يولدون من أمهات مدمنات على التدخين بكثرة، هم أقل وزناً وحجماً من غيرهم. كما أن الولادة قبل الأوان، تحدث عندهن بنسبة الضعف عن غيرهن.

تشقق بشرة البطن

يمكن تفادي تشققات البطن، بإتباع النصيحتين التاليتين:

أولاً: يجب تفادي زيادة الوزن والسمنة خلال الحمل.

ثانياً: دلكي بشرة البطن منذ بدء الحمل بالمراهم الملطفة للجلد،والغنية بالفيتامينات من نوع (A،E،F) التي تجعل الجلد ناعماً وقابلاً للتمدد، والصيدليات مليئة بأنواع متعددة من هذه المراهم.

هو 9 هي

سيدة الملوخية الخضرا

بقلم بسمة النسور

لعلها أشد حزنا من امرأة أجهضت للتو، ولربما كانت أكثر تعبا من عامل منجم احترف شق الصخور، من المؤكد انها لم تشارك يوما في ورشات عمل حول حقوق الانسان، وقد فاتتها احتفالات تكريم كثيرة، امرأة من ضنك، ليس لها ادنى معرفة بآخر صرعات الموضة او حتى أولها!، قدمها لم تطأ قط صالون مصفف شعر، او مركزا للعناية بالبشرة، بل انها تبدو أكثر خشونة من رجال كثر.

أصادفها مرارا هذه الايام، وقد اتخذت دوّار الاتصالات في منطقة الرابية مركزا لها، تحمل أوراق الملوخية خضراء يانعة من غير سوء منقبة مقطعة، معبأة في اكياس نايلون شفافة جاهزة للاستعمال، تبيعها دون إلحاح كبير للسواقين المتوقفين قسرا عند الاشارات الضوئية، ليقينها من ضعف المقاومة الشعبية لمذاقها الشهي مضافا إليه قدحة «الثوم والكزبرة» فتفوح رائحتها بشكل يجعل من غير اليسير تجاهل سطوتها كونها حاصلة على اجماع وطني منقطع النظير.

حين اقتربت من سيارتي بخطوة متهالكة تنم عن تعب متأصل، اعترفت لها وانا انقدها الثمن، بأنني لا اتقن طهي الملوخية رغم هوس العائلة بها، قالت باستخفاف «وّل كلها نتفة ملوخية بدهاش فصاحة»، وشرعت تشرح لي خطوات طبخها.

في اثناء ذلك تأملت وجهها المتغضن الذي اكتهل قبل اوانه، غير ان ثمة أنفة وكبرياء استقرت في نظرة عينيها جعلتني ادرك انني بصدد امرأة من طراز عصي، يعرف كيف ينتزع الحياة من فك المستحيل المفترس، ليطعم صغاره لقمة العز مجبولة بعرق التعب.

تساءلت: هل تعرف هذه المرأة المثخنة بالغربة ان سيد البيت الابيض جاء بنفسه خصيصا للاحتفال بذكرى شتاتها واغترابها ولكي يهنئ سفاحه المفضل بالذكرى الستين للقبح، وليشد من أزره مشجعا على مزيد من الفتك؟ وهل حقا «بتفرق» معها لو تأكدت ان العالم الحر المنهمك في احياء ذكرى نكبتها، مايزال متمسكا بطقوس الشجب والتنديد في مثل هذا الوقت من كل عام؟ هل سيحول ذلك دون شقائها اليومي او يغير من روتين يومها الذي يبدأ مبكرا حين قيامها في مطلع الفجر موقظة عين الشمس من نومها، متجهة الى»الحسبة» لعقد افضل الصفقات الممكنة؟

تحمل تلك الاكوام من عروق الملوخية ثقيلة الوزن فوق ظهرها، سالكة درب الآلام المرة تلو الاخرى على مدى عمر من البؤس، تجمع الجارات ويقمن سويا بطقس تنظيف الملوخية وسط ثرثرات تجعل العمر يبدو اقل خذلانا وخيبة، لتنطلق بعد ذلك ساعية في مناكبها، تبيع حصيلة التعب لنساء يعتبرن نعومة ايديهن مسألة مصيرية لا تقبل المساومة، ويخشين التعرض لتقلبات الطقس التي قد تقصف ظفرا او تنزع عنه طلاء!! تعود الى بيتها في المساء فرحة بربطة الخبز تضعها ساخنة على مائدة العائلة، وهي تدرك بفطرتها انها امرأة من كبرياء وانها تعريف بليغ لفكرة المرأة حين تكون حرة لا ريب فيها!! تنام ليلها الطويل غير معنية بالصخب الموسمي المحتفي بالجراحات، المنهمك في التنظير بلا طائل لكيفية النزيف، ورغم كل الوجع الذي ميز ملامحها على مدى عمر، ينهض دوما العناد والامل والتوق مضادا حيويا فعالا في مواجهة اكتهال السنين وركضها نحو اعتياد الاحزان!، لتظل الذاكرة صبية عفية فتية يقظة شديدة الانتباه وان تجاوزت الستين من عمر الفقد والاغتراب والحنين.

بدعم من OPEN SOCIETY INSTITUTE
OPEN SOCIETY INSTITUTE & Soros Foundations Network

هموم عادية!!؟

بقلم: عطاف يوسف

مجرد ديكور

رغم أن انتخابات المجالس البلدية والقروية قد تأجلت، ولن يتم إجراؤها في موعدها المحدد، إلا أن هناك العديد من الملاحظات والمفارقات، التي حصلت أثناء الاعداد لتسجيل القوائم الانتخابية، التي كانت ستخوض الانتخابات للمجالس البلدية والقروية.

في آخر انتخابات حصلت، كنت اسكن في رام الله، وانتخبت القائمة التي كنت مقتنعة بها، دون اشكالات تذكر، أما قريتي الجانية فلم يصلها الدور لاجراء انتخابات للمجلس القروي، حيث كان من المقرر إجراؤها في المرحلة الخامسة، التي لم تحصل.

ما بين دورتي الانتخابات، غيرت مكان سكني، وعدت من جديد لاسكن في قريتي، بعد أن استكملت بناء بيتي الذي طالما حلمت به فيها.

عندما أعلن عن فتح باب الترشيح، اتصل بي أحد رجال القرية، يطلب مني أن أكون معه في القائمة، كنت مترددة في القبول، كون عضوية المجلس تحتاج لوقت وجهد لا أملكهما بحكم عملي، فقلت له سأفكر في الموضوع، لأنني لا أرغب بأن أكون مجرد اسم في عضوية المجلس، ولا أكون فاعلة فيه.

اكتشفت بعد فترة أن دعوتي للمشاركة لم تكن اقتناعاً بي، أو بامكانياتي أو بكوني امرأة، وإنما فقط لأن قانون الانتخابات لا يقبل أي قائمة دون وجود نساء فيها. لم أعطه جواباً بالقبول أو الرفض.

في القرى الوضع معقد، فمن الصعب تشكيل قوائم على أساس حزبي، لأن وضع الأحزاب ضعيف، وخاصة في قرية لا يتعدى عدد سكانها الألف نسمة، بما فيهم الأطفال الذين يشكلون أكثر من نصف عدد السكان، لذلك فالفاعلين في القرية ربما لا يتجاوزن نسبة أل ١٠٪. نتيجة لهذا الوضع، كان التوجه أن تكون القائمة على أساس عشائري، بحيث يتم تمثيل كل العائلات الموجودة إما بشخص أو شخصين للعائلات الأكبر عدداً.

كان موقفي واضحاً، وهو أنني لن أمثل عائلتي ولا أي حزب من الأحزاب، وأرغب في أن يكون ترشيحي على أساس مستقل، ولخدمة القرية بشكل عام، وليس عائلتي فقط، وأنني أقبل أن تكون القائمة ممثلة لمنظمة التحرير، وليس لحزب واحد فقط.

فشل الشباب في تشكيل قائمة تجمع بين الحزبية والعائلية، واتفق الجميع في النهاية، على أن يتم تقديم نفس أسماء المجلس القديم، وإضافة اسمي كامرأة، وافقت خجلاً من الأشخاص الذين حضروا لبيتي، وأعطيتهم اسمي الرباعي ورقم بطاقة الهوية، ليتم رفع القائمة في اليوم التالي، بعد أن يحضروها لي للتوقيع عليها. بعد يومين فوجئت بأن القائمة قد سلمت، بإضافة أسماء امرأتين وشطب اسمي منها، لأنه وفي اللحظة الأخيرة، تقرر أن تقدم نفس القائمة باسم حركة فتح.

لم انزعج كثيراً مما حصل، لكني وبعد التدقيق، تبين أن النية لدى المجلس جعل النساء مجرد أرقام وديكور لتزيين القائمة، من أجل قبولها في لجنة الانتخابات، وأنهم عاقدون النية على أن لا يكون للمرأتين دور في المجلس، لأنهم حاولوا قبلها ولارضاء جميع العائلات، بأن يقدمو قائمة من تسعة أسماء تمثل العائلات، بالإضافة إلى اسمين لامرأتين، حتى إذا رفضت القائمة يتم شطب المرأتين.

هذا ما حصل في عدة قرى، وهذا يدل على عدم القناعة بوجود النساء في المجالس المحلية أو البلدية، ولو لم يكن القانون قد اشترط وجود نساء في القوائم، لما تضمنت قوائم القرى خاصة، أي اسم لامرأة.

ربما يكون تأجيل الانتخابات فرصة لاعادة النظر في القوائم المقدمة، والتدقيق في أسماء النساء الواردة فيها، إن كن نساء فاعلات، أم هن مجرد أرقام ستوضع على الرف، ما أن تباشر المجالس مهماتها بعد الانتخابات. ولا بد أيضاً من تكثيف العمل مع الناس، لاقناعهم بأهمية وضرورة وجود النساء في المجالس القروية والبلدية، لأن نصف المجتمع نساء، والمجالس المحلية هي مجالس خدماتية، تقدم خدماتها للمجتمع ذكوراً وإناثاً، ولا بد من تمثيل حقيقي للنساء فيها.

itaf1957@yahoo.com

للإتصال أو للمراسلة
طاقم شؤون المرأة
المشرفة العامة : روز شوملي مصلح
المحررة المسؤولة: لبنى الأشقر
شارع الإرسال – مركز عواد
ص.ب : ٢١٩٧ رام الله
هاتف : ٢٩٨٦٤٩٧ – فاكس: ٢٩٦٤٧٤٦
بريد الكتروني: (watc__media@palnet.com)
الآراء الواردة في الصحيفة تعبر عن رأي اصحابها
تطبع في مطابع الايام